من جواهر عقيدة أهل السنة والجماعة

جمع وترتيب

وابل عبدالله الشاذلي



اعتنى بطباعة هذه النسخة

مكتب مِداد الفني لخدمات الطباعة والإعلان

تركيا – إسطنبول – الفاتح – أكسراي

الطبعة المصححة المعتمدة

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧

Mail: Mahmoud. albakkar. tr@gmail. com

Mobil: +90 (535) 064 38 49


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أكمَلَ لنا دينَنا، وأتمَّ علينا نعمتَه، ورضيَ لنا الإسلامَ دينًا، المنعمُ بالإيجاد والإمداد، المنزَّهُ عن التقييد والإطلاق، الذي نوَّر بصائر العارفين بِنُور معرفته، وملأ قلوبهم أنوارًا، وجعل الاقتداء بهم سببًا لنيلِ الآمال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، المنزل عليه: ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾[١] وعلى آله وأصحابه الذين أَذِنَ لهم بِبَثِّ العلمِ والمعرفةِ بالله تعالى. أما بعد:

فهذا كتاب في بيان عقيدة أهل الحق؛أهل السنَّة والجماعة ، وقبل أن أبدأ في نقل تقريرها كما قرَّرها علماء الأمة الثقات_رحمهم الله تعالى _، كان لا بد أن أقدم بقواعدممهدات،وردود واضحات لكشف بعض الشبهات،والضلالات التي ظهرت في أزمان متعاقبة ،ثم انتشرت وذاعت في زماننا هذا عبر وسائل إعلامية متعددة ،لكي تكون هذه الممهدات بمثابة تحصين للقلوب من العقائد الزائغة ،ثم تحليتها بأنوار عقيدة أهل السنة والجماعة ،وأسأل الله _عز وجل _أن ينفع بذلك ويجعله خالصاً لوجهه الكريم،وأن يجزي كل من كان سبباً في هذا العمل خير الجزاء ،وخصوصاً فريد هذا الزمان، الغريب بين الأنام سيدي الشيخ العارف بالله تعالى، أحمد فتح الله جامي _حفظه الله تعالى _ ونفعنا به وبعلومه ،وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء .

---

(١) سورة الفتح ، آية رقم ١٠ .

أهمية تعلُّم العقيدة لكل مسلم

يقول الإمام الرباني، مجدد الألف الثاني، الإمام أحمد السَّرْهَنْدِي ــرحمه الله تعالىــ: « والذي لا بد منه للإنسان هو تصحيح العقائد أولًا، على مقتضى آراء أهل السنة والجماعة الصائبة، الذين هم الفِرقة الناجية، وإتيان الأعمال الصالحة ثانيًا بموجب الأحكام الفقهية. فإن ساعد ذلك التوفيقُ الإلهيُّ – بعد تعلُّم أحكام الفرائض والسنن والواجبات والمستحبَّات والحلال والحرام والمتشابهات، **وحصولِ هذَيْنِ الجناحَيْنِ الاعتقاديِّ والعمليِّ** – يمكن الطيران نحو عالَمِ الحقيقة، وبدون هذين الساعدَينِ يستحيل الطيران نحوها:

ومن المحالِ السَّيْرُ في طُرُقِ الصفا   يا سَعْدُ من غيرِ اتِّباعِ المصطفى» (١)

وقد ذكر الأولياء ــ رضي الله عنهم ــ أنَّ مَن تعلَّم العقيدةَ أمِنَ مِن سوء الخاتمة بإذن الله تعالى؛ لأن الجهل بعقيدة أهل السنةِ سببٌ للزيغ والضلال.

قال سيدي الإمام الغزالي ــرحمه الله تعالىــ **في كتاب** (**إحياء علوم الدين**): « **فإن قلتَ: فما السبب الذي يُفضي إلى سوء الخاتمة؟** فاعلم أن أسباب هذه الأمور لا يُمكِن إحصاؤها على التفصيل، ولكنْ يُمكِن الإشارة إلى مجامِعِها. **أما الخَتْمُ على الشك والجحود؛ فينحصر سببه في شيئَينِ:** أحدهما يُتَصَوَّر مع تمامِ الورع والزهد، وتمامِ الصلاح في الأعمال، كالمبتدع الزاهد، فإن عاقبتَهُ مخطرة جدًّا – وإن كانت أعماله صالحة –، ولستُ أعني مذهبًا فأقول إنه بدعة، فإن بيان ذلك يطول القول فيه، بل أعني بالبدعة: أنْ

(١) (المكتوبات) للإمام الفاروقي السرهندي ، ط مكتبة الحقيقة بتركيا ، ١٧٢/١ المكتوب الرابع والتسعون .

يعتقدَ الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلافَ الحق؛ فيعتقده على خلاف ما هو عليه، إما برأيه ومعقوله ونظره الذي بِهِ يجادلُ الخصمَ وعليه يُعَوِّلُ وبِهِ يَغْتَرُّ، وإما أخذًا بالتقليد ممن هذا حاله، فإذا قرُب الموت، وظهرتْ له ناصية مَلَكِ الموت، واضطرب القلب بما فيه؛ ربما ينكشف له في حال سكراتِ الموت بطلانُ ما اعتقده جهلًا؛ **إذ حالُ الموت حالُ كشفِ الغطاء**، ومبادئُ سكراته منه، فقد ينكشف به بعض الأمور، فمهما بطل عنده ما كان اعتقده – وقد كان قاطعاً به، متيقنًا له عند نفسه –؛ لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد، خاصةً لالتجائه فيه إلى رأيِه الفاسد وعقلِه الناقص، بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له؛ إذ لم يكن عنده فرقٌ في إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة، وبين اعتقادِه الفاسد، **فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببًا لبطلان بقية اعتقاداته، أو لِشَكِّهِ فيها، فإن اتفق زُهُوقُ رُوحِهِ في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان؛ فقد خُتِم له بالسوء**، وخرجتْ روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ (١)، وبقوله عز وجل: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا﴾ (٢) » اهـ (٣)

---

(١) سورة الزمر ، آية رقم ٤٧ .
(٢) سورة الكهف ، آية ١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٣) (إحياء علوم الدين) للغزالي ، ط دار المنهاج ، ٥٧٦/٧ .

الأمور المطلوبة في الدين الإسلامي بالمعنى العام

بعد بعثة سيدنا محمد رسول الله ﷺ فإن الإسلام هو الدِّين الوحيد الذي لا يَقبلُ اللهُ من العباد دينًا سواه، ولذا قال الله تعالى: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (١)، وقال الله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ (٢).

والدين الإسلامي له جوانبُ ثلاثةٌ، كما ثبت في النصوص التي منها حديث سيدنا جبريل _عليه السلام _ المشهور.

أحدها: ركنٌ يهتم بأمر اعتقادي يعتقده العبد ويؤمن به.

والآخران: هما أمران عَمَلِيَّان، يختصَّان بأعمال القلوب وأعمال الجوارح.

وقد قامت مدراس أهل السنة والجماعة بهذه العلوم الدينية الثلاثة على أكمل وجه، **وكان لكل علم منها رجالُه الذين تخصصوا في كتابته وتعليمه على مرِّ السنين.**

العلم الأول: (الإيمان)، وهو يسمى العقيدة، أو التوحيد، أو الفقه الأكبر، ونحوها.

قال رسول الله ﷺ: « الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره » (٣).

---

(١) سورة آل عمران ، آية رقم ٨٥ .
(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٣ .
(٣) (صحيح مسلم) ط دار إحياء التراث العربي ببيروت ، كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان

وكوّنَ أهل السنة والجماعة مدرستَيْنِ؛ تخصصَتْ في تعليم عقيدة أهل الحق، وهي المدرسةُ الأشعريةُ؛ نسبة للإمام أبي الحسن الأشعري، والمدرسةُ الماتريديةُ؛ نسبة للإمام أبي منصور الماتريدي الحنفي – رحمهما الله تعالى –. قال الإمام السّبكي ــرحمه الله تعالىــ: « **وهؤلاء الحنفية، والشّافعية، والمالكية، وفضلاء الحنابلة – ولله الحمد – في العقائدِ يدٌ واحدة؛ كلّهم على رأي أهل السنّة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السُّنَّة، أبي الحسن الأشعري** ــرحمه الله تعالىــ، **لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة** [١] **لحقوا بأهل التجسيم، وبالجملة: عقيدة الأشعري هي ما تضمّنته عقيدةُ أبي جعفر الطحاوي التي تلقّاها علماء المذاهب بالقبول، ورَضُوهَا عقيدة** » اهـ [٢].

العلم الثاني: (الإسلام)، وهو المصطلح عليه باسم الفقه، أو فقه الفروع، وحَفِظَ الله لأهل السُّنة فيه مدارسَ فقهية أربع تسمى مذاهب أهل السنة الفقهية، وهي: مذهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة.

وفيه يتعلم المسلم أحكام الطهارة والصلاة والصيام والحج والزكاة، وغيرها من الأعمال الظاهرة التي تتعلق بالجوارح.

والإسلام والقَدَر وعلامات الساعة ٣٦/١ حديث رقم ٨ .

(١) لأن جمهور الحنابلة في العقيدة على طريقة من طرق أهل السنة الأشاعرة ، وهي الإثبات مع التفويض ، وعدم الخوض في المعنى ، وبعضهم على المنهج الثاني لأهل السنة ، وهو الإثبات مع بيان المعنى ، وهو ما يسمى بالتأويل ، وبعضهم وقع في شِبَاك التجسيم ، وهم الذين اشتغلوا بالتأليف في الدفاع عن عقائد التشبيه ، حتى ظنَّ البعض أنَّ جمهور الحنابلة مجسمة ، وهذا الظن باطل .

(٢) (معيد النعم ومبيد النقم) للتاج السبكي ، ط دار الكتاب العربي بمصر ، ص٧٥ .

قال رسول الله ﷺ: « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلًا » (١).

العلم الثالث: **السعيُ للتحقق بمرتبة الإحسان**، وهو المصطلح عليه باسم التصوُّف، أو علم التزكية والتربية، ولأهلِ السُّنة فيه طُرُقٌ مشهورة. قال رسول الله ﷺ: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٢).

سبب إطلاق مُسمَّى أهل السنة والجماعة

سبب هذا اللقب: هو وُرُود النَّصوص الشرعية بذلك، فيُسَمَّوْنَ أهلَ السنَّة؛ لتمسكهم بسنَّة سيدنا رسول الله ﷺ، وما كان عليه أصحابه الكرام في العقيدة، فيُطلق مسمَّى (أهل السنة) في مقابل مسمَّى أهل البدعة، جاء في الحديث الشريف: « تركت فيكم ما أن تمسكتم به فلن تضلُّوا بعدي؛ كتاب الله **وسنَّتي** » (٣)، وقال: « عليكم **بسنَّتي** وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » (٤).

ومُسَمَّى الجماعة مأخوذ من قول سيدنا رسول الله ﷺ: «وتفترق هذه

---

(١) سبق تخريجه في ص٣ من هذا الكتاب .
(٢) سبق تخريجه في ص٣ من هذا الكتاب .
(٣) (مستدرك الحاكم) ط دار الكتب العلمية ، كتاب العلم ١٧٢/١ حديث رقم ٣١٩ .
(٤) (مسند الإمام أحمد) ط مؤسسة الرسالة ، حديث العرباض بن سارية ٣٧٣/٢٨ حديث رقم ١٧١٤٤ .

الأمَّة على ثلاث وسبعين؛ كلها في النار إلا واحدة، هي **الجماعة**» [١]، فالتسمية أُخِذَتْ مباشرة من النص الشرعي.

والكلام في هذا الكتاب هو خاص بعقيدة أهل السنَّة والجماعة، ولهم مدرستان في العقيدة، هي امتداد لسلفهم من الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم من المحدِّثين والفقهاء والمتكلمين والصوفيين الصادقين، وهما: مدرسة الأشاعرة ،ومدرسة الماتردية؛ فهُمْ – بحق – أهل السنَّة في العقيدة.

وهذه المدرسة العلمية العَقَدِيَّة تتميز بأمور كثيرة، منها:

الأمر الأول: أن مصدرَي التلقي هما: القرآن الكريم، والسنَّة النَّبوية الثابتة.

الأمر الثاني: أنَّ عقائدهم لا تُناقِض الأدلة النَّقلية، والبراهين العقلية القطعية.

الأمر الثالث: تَسَلْسُلُ علماءَ لهذه المدرسة العَقَدِيَّة، وهم جمهور علماء الأمة الإسلامية على مَرِّ السنين، **بل كلُّ أسانيدِ القرآن الكريم، وكتبِ الحديث المنقولة إلينا؛ مدارُها على أهل السنَّة من الأشاعرة، وقليلٌ من الأسانيد بالحنابلة الصوفية، ولا يوجد سندٌ أبدًا إلا مُتَسَلْسِلٌ بهم** [٢].

الأمر الرابع: كتبٌ عقديةٌ مسندةٌ محفوظةٌ، تُحفظ بها أقوالهم العَقَدِيَّة وتشرحها.

الأمر الخامس: أن هذه الأسانيد ثابتة متصلة لهذه الكتب، يرويها

---

(١) (مستدرك الحاكم) كتاب العلم ـ فصل في توقير العالم ٢١٨/١ حديث رقم ٤٤٣ .
(٢) فهل يخطر بقلب عاقل مُنْصِف أن يكون مدار نقل هذا الدين العظيم على رجال مِن المبتدعة الضالين ، فوالله لا يصدِّقُ هذا الإفك إلا جاهل أو مُغرِض .

بالأسانيد المتصلة خلفهم عن سلفهم، ولهذا فلا ثقة بغير عقيدة أهل السنة، وميراثِها الزاخر بالعلم والمعرفة، والمستنيرِ بنور الاتصال بسيدنا رسول الله ﷺ، وورثتِه من العلماء رحمهم الله تعالى.

المبادئ العشرة لعلم التوحيد

وهي التي يبدأ الإنسان بمعرفتها عند بداية الدخول لتَعَلُّم علمٍ من العلوم، وهي كما يلي:

اسم هذا العلم:يُسمَّى التوحيد،أوالعقيدة،أو أصول الدين، فنأخذ أشهر أسمائه وهو التوحيد.

فالتوحيد لغة: هو العلم بأن الشيء واحد.

والتوحيد شرعًا: هو إفراد الله تعالى بالعبادة؛ مع اعتقاد أَحَدِيَّةِ ذاتِه وصفاتِه ،وأفعالِه (١).

أما تعريفه من حيث كونُه علم من العلوم، **فعلم التوحيد:** هو علمٌ يُقتدر به على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية.

وموضوعه: الكلام عن الله_عز وجل _ من حيث ما يجب له،وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقِّه_عز وجل _وكذلك الرسل _عليهم السلام – كما يأتي بيانه –، والسمعيات من حيث اعتقادها.

---

(١) هناك فرق بين بين التوحيد والوحدانية ؛ لأن الوحدانية صفة من صفات الله تعالى ، أما التوحيد فهو كسبٌ للعبد ، والتوحيد لا يقبل التجزُّأ ؛ فلا نسمِّي التوحيد توحيدًا إلا إذا أتى به العبدُ كاملًا ـ كما في التعريف ـ ، ولذا فقد غلِطَ من قسَّم التوحيد .

ثمرته: معرفة العبد لله تعالى بالبراهين القطعية، والفوز بالسعادة الأبدِيَّة.

فضله: هو أشرف العلوم؛ لكونه متعلقًا بالكلام عن الله تعالى ورسله عليهم السلام.

نسبته: هو أصل العلوم الذي لا يقوم أيُّ علمٍ شرعيٍّ إلا عليه.

واضعه: هو الله تعالى حقيقةً، وبلَّغَه الرسلُ عليهم السلام، وأما الذي حرَّر أدلتَه وألَّف كتبَه وَرَدَّ الشبهَ عنه، فهو الإمام أبو الحسن الأشعري ومن تبعه من العلماء، والإمام أبو منصور الماتريدي ومن تبعه.

وقد أتى بالتوحيد كلُّ نبيٍّ من لَدُنْ آدم عليهم السلام.

استمداده: يُسْتَمَدُّ من الأدلةِ النقلية، والأدلةِ العقلية القطعية.

حكم الشارع فيه: هو فرض عينٍ على كل مكلَّف من ذكر أو أنثى، وقد حتَّم الشارع الحكيم هذا العلم وأوجبه، ولم يرخص بتركه، فقال تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ [١]، فيجب على كل مكلَّف من ذكر أو أنثى **وجوبًا عينِيًّا** معرفةُ كلِّ عقيدةٍ بدليلٍ إجماليٍّ.

وأما معرفتها بالدليل التفصيلي فهو فرض كفاية.

مسائله:هي قضاياه الباحثة عن الواجبات، والجائزات،والمستحيلات التي دل النقل والعقل عليها.هذا مما ذكره الإمام الباجوري ــرحمه الله تعالىــ في شرحه على جوهرة التوحيد [٢].

---

(١) سورة محمد ، آية رقم ١٩ .
(٢) (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) للباجوري ، ط مكتبة دار البيروتي تحقيق عبدالسلام شنار، ص٣٨_٤٠

أقسام المضافات إلى الله تعالى

هي على ثلاثة أقسام: –

القسم الأول: إضافة صفة إلى موصوف، مثل: عِلْم الله، أو قدرة الله تعالى.

فالعلم،والقدرة صفة من صفات الله، فالله تعالى قديم بلا ابتداء، وهو متصف بصفات ملازمة لذاته،صفاته ليست حادثة، بل هو قديم، وصفاتُه قديمة ملازمة لذاته العَلِيَّة.

القسم الثاني: إضافة فعل إلى فاعل، مثل: خَلَقَ الله السمواتِ والأرضَ.

فإضافة الخالِقِيَّة إلى الله تعالى هي إضافة فِعْلٍ إلى فاعل، فالخلق فِعْلٌ فَعَلَهُ الله تعالى الفعّالُ لِمَا يُريد. ومعنى الخلق هو: إحداث الشيء بعد عدمه.

مثال آخر: الله يبعث الموتى يوم القيامة. فَبَعْثُ عموم الموتى هو فِعْلٌ سيفعله الله تعالى يوم القيامة، فإذن سيفعله في المستقبل. **فالفعل حادث وليس بقديم**.

القسم الثالث: إضافة مفعول إلى فاعل، مثال: عرش الله، ناقة الله، أرض الله.فهي مفعولات نَتَجَتْ عن فِعلِ الفاعل عز وجل. فالمفعول والفعل حادث، وأما الفاعلُ وصفاتُ ذاتِه فقديم – عز وجل –.

فالأفعال والمفعولات من متعلقات صفة القدرة من حيث التأثير، ومن متعلقات صفة الإرادة من حيث التخصيص – كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى–.

والأفعال يفعلها الله ــعز وجل في مخلوقاته لا في ذاته، فمن المستحيل أن يفعل الله في ذاته؛ لأن الفعلَ يقتضي إيجادَ شيءٍ أو تغييرَه، والإيجادُ والتغييرُ لا يكون إلا في الشيء القابل للتغيير والإحداث، والله منزَّه عن ذلك.

والبعث والنشور والحساب والإحياء والإماتة كلها من قسم الأفعال، يفعلها في مخلوقاته عز وجل.

قواعد عقدية

القاعدة الأولى: أن الموجود إما قديم بلا ابتداء، أو حادث بعد عدم، فالله تعالى هو القديم وحده، وأما المخلوقات فحادثة أَوْجَدَها الله بعد العدم.

القاعدة الثانية: أن القديمَ سبحانه وتعالى لا يتَّصف بأي صفة من صفات الحوادث، قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[(١)].

القاعدة الثالثة: أن إثبات العقيدة التي يُجزَم بثبوتها ويكَفرُ مُنكِرها؛لا يكون إلا بالأدلة القطعيةِ الثبوتِ والدلالة، ويصح كذلك إثباتها بالأدلة الظنيةِ الثبوت والدلالة، إذا اتفق على قبولها جميع علماء المسلمين وأجمعوا على معناها.

وأما إذا لم يجمع المسلمون عليها، فالذي يتفق عليه علماء أهل السنة مستندين إلى النصوص الشرعية فهو الحق، ومن خالفهم فهو مبتدع وليس

(١) سورة الشورى ، آية رقم ١١ .

بكافر.

مثال: مَن يثبِتُ الصراط،ولكن ينفي كونه حسِّيًّا - كما اتفق عليه أهل السنة-؛ فهذا مبتدع وليس بكافر؛ لأنه لم ينكر الصراط، ولكنه لم يفسره بالمعنى الذي **وَرَدَ في النصوص**، وهو الجسر المنصوب على جهنم، كما فسره جميع أهل السنة بالأحاديث الصحيحة المصرِّحة بذلك.

وسبب تبديع أهل السنة لهم؛ هو أنهم ردّوا الأحاديث الثابتة التي وَرَدَتْ ببيان معناه دون سبب مقبول.

القاعدة الرابعة: أن ما وَرَدَ من النصوص النقلية، وكانَ له معنًى في لغة العرب يخالف الأدلةَ النقليةَ القاطعةَ والأدلةَ العقليةَ القاطعةَ، **فلا بُدَّ أن له معنى آخرَ في لغة العرب يليق بالله تعالى؛ فيُفسَّر به،** فنؤمن به وننفي المعنى الباطل المخالف للعقل والنقل.

القاعدة الخامسة: أن كلَّ نقص فهو منفي عن الله تعالى، وكل كمال ليس فيه نقص بأي وجهٍ من الوجوه فنثبته لله تعالى.

القاعدة السادسة: أننا لا نستطيع الاطِّلاع على حقائقِ وكُنْهِ ذات الله وصفاته، وإنما أَمَرَنا الله تعالى بالتفكُّرِ في مخلوقاته، كما في نصوص كثيرة أمرت بالتفكُّر في المخلوقات، فمنها قول الله تعالى: ﴿إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ [(١)]، وآيات التفكر كثيرة، **فكلُّ ما تراه في المخلوقات فالله منزَّه عنه.**

---

(١) سورة آل عمران ، آية رقم ١٩٠ .

فلما نظر المسلمون في المخلوقات وأيقنوا أن الله تعالى ليس كمثله شيء؛ **علموا يقينًا أنه لا يمكن أن نصف الله بما نشاهده من صفات المخلوقين، وإلا؛ لكان سبحانه وتعالى شبيهًا للمخلوقات، فيكون سبحانه حادثًا مثلها.**

ولذلك ذكروا الأصول التي يتميز بها القديم عن الحادث، وقد عُلِم بها عندما نظروا في خصائص الحادثات، فنزهوا الله عنها.

أهم الأصول التي يتميز بها القديم عن الحادث

الأصل الأول: إن من أدق الصفات التي يفرق بها بين القديم والحادث: هو التغير.فعندما يتفكر العاقل في هذه المخلوقات؛ يجد أنها تتغير من حال إلى حال، فهي تتغير من حال العدم إلى حال الوجود، ومن حال الوجود إلى حال العدم.وهي تتغيَّر في صفاتها من صفة إلى صفة، فتزول صفة وتحدث صفة أخرى، فتجد الإنسان يتغيَّر من صفة الرضا ثم يزول هذا الرضا ويحدث الغضب، أو تزول القوة ويحدث الضعف، وهكذا.

إذن؛ الحادث المخلوق متغيِّر، بينما القديم_عز وجل _ لا يمكن أن يتغيَّر، فكل متغيِّر حادث.

فيستحيل وصف الله عز وجل بالتغير لسببين:

السبب الأول: أن المتغيِّر لا يتغير إلا من حالٍ نقصٍ إلى حالِ كمال، أو من حال كمال إلى نقص، والله سبحانه منزَّهٌ عن ذلك؛ فهو كامل دون نقص

سابق ، ولا نقص لاحق ، وهذا أمر قطعي .

السبب الثاني: **أن التغيُّر معناه الحدوث**، فمهما تتفكر في معنى التغيَّر؛ تَجِد أن معناه مطابقٌ لمعنى الحدوث. فهو إما حدوث صفةٍ بعد عدمها، أو زوال صفة بعد ثبوتها، والله منزَّه عن الحدوث لا في ذاته ولا في صفاته، فلا يمكن أن تزول صفاته، ولا أن تحدث. وقد استدل سيدناإبراهيم _عليه السلام_بأُفُول الشمس والقمر على عدم ألوهيَّتِها، ﴿ فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾ [(١)]، والمعنى الذي يستفاد من ذلك: أن التغيَّر يدل على عدم كونها أربابًا حقيقة، ولا يعني ذلك أن المشاهَد الذي لا يغيب عن العين يصح كونه ربًّا، فتبيَّن أنه أراد عدة معانٍ، من أظهرها: معنى التغيَّر الدال على الحدوث.

فسبحان الله الذي يغيّر ولا يتغير ولا يتبدَّل.

الأصل الثاني: أن الله_عز وجل _لا يشبهه شيء، والأشياء الحادثة المخلوقة عندما تَفَكَّر فيها العبادُ، وجدوا أنها إما أن تكون غير مركبة – وهي ما تسمى اصطلاحًا بالجواهر، أو تكون مركَّبة من أكثر من جزء – وهي ما تسمى بالأجسام –، أو تكون أعراضًا ملازمةً لهذه الأجرام – مثل الألوان والتغيَّرات ،والحركة ،والسكون ، والطول ،والقِصَر ،والعَرْض ونحو ذلك –.

فالله عز وجل ليس بجوهر ،ولا جسمٍ ،ولا عَرَض، فلا يشبه شيئًا من هذه الأشياء.

وهذه المصطلحات الثلاثة هي مجرد اختصار لكل ما نشاهده

---

(١) سورة الأنعام ، آية رقم ٧٦ .

ونعلمه من مخلوقات . فهذا أوجز من قول:أن الله ــتعالىــ ليس بجماد ولا ماء ولا إنسان ولا نبات ... إلى آخر أنواع المخلوقات ؛ فاختصروا كل ذلك في ثلاثة مصطلحات ، تجمع كل معاني المخلوقات وهي :الجوهر،والجسم والعرَض.ولا مشاحة في الاصطلاح ؛ لأن الغرض هو الفهم والاختصار .

فالله ــعز وجلــ يختلف اختلافًا تامًّا من جميع الوجوه عن جميع الحادثات ،قال الله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، (١)، وقال تعالى: ﴿ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ (٢)، وقال: ﴿ هل تعلم له سميًّا ﴾ (٣)، أي: شبيهًا.

تطبيق القواعد الشرعية السابقة بالأمثلة

أولاً: تطبيق قاعدة « أن كل متغير حادث »

مثال: غضب الله ــعز وجل ــ ورضاه. أهل السنة يقولون: الغضب والرضا يرجعان إلى صفة الإرادة، وقد يُفسَّران بآثارها، فالغضب يكون معناه: هو العقوبة التي نزلَتْ بمن يستحقها، سواء أكانت بالنار أو الزلازل أو الأمراض، أو غيرها من أنواع العقوبات، والرضا: هو الإنعام بأنواعه المختلفة.

وهنا يأتي سؤال، لماذا نُرجِعُهما إلى صفة الإرادة؟

فالجواب: أن الغضب والرضا في اللغة يكون بانفعال وإرادة. فالانفعال مستحيل أن يتصف الله تعالى به، فبقي الوصف الآخر وهو الإرادة، وهذا

---

(١) سورة الشورى ، آية رقم ١١ .
(٢) سورة الإخلاص ، آية رقم ٤ .
(٣) سورة مريم ، آية رقم ٦٥ .

المعنى يليق بالله تعالى، فالغضب هو إرادة الانتقام، والرضا هو إرادة الإنعام، والإرادة عند أهل السنة معناها: تخصيصُ الممكن _أي المخلوق _ببعض ما يجوز عليه، وليس معناها الميل – كما يفهم المخالفون لأهل السنة –.

وإذا فسَّرنا الغضب بأنه فعل من أفعال الله تعالى؛ فمعناه: العقوبة والانتقام. فيوم القيامة يغضب الله غضبًا لم يغصبه مِن قَبْلُ، ولا يغضبُه مِن بَعْدُ، فما هو هذا الغضب؟

هذا الغضب: هو تلك الأهوال التي يوم المحشر، كَطُولِ وقوف الناس، ودُنُوِّ الشمس على رؤوسهم، والخوف من الجزاء، وغير ذلك من أهوال المحشر. وهذه الحال لا تكون قبل المحشر، ولن تكون بعده؛ لأنه حشر واحد فقط يكون بهذا الوصف، فهذا معنى « يغضب غضبًا لم يغضبه من قبل، ولا من بعد ».

وليس الغضب هو الانفعال؛ لأن الانفعال: هو حدوث تغيِّر من حال إلى حال. فإن التغيَّر حدوث شيء؛ والقديمُ بلا ابتداءٍ لا يوصف بشيء من الحوادث.

فإذا علم المسلم أنَّ صفات الله_عز وجل _قديمة قِدَمَ ذات الله وليست بحادثة، وعلم أنَّ أفعال الله تعالى حادثة؛ فغضبُ الله تعالى ليس تغيُّرٌ من حال إلى حال – سبحانه عن ذلك –.

ثانيًا: تطبيق قاعدة « التنزيه ودفع التشبيه »

أهل السنَّة والجماعة وسط بين أهل التشبيه وأهل التَّعطيل، فأهل التَّعطيل هم المعتزلة ،والجهمية ،والشيعة المتأخرين، **وسُمُّوا معطِّلة لسببين**: -

السبب الأول: أنهم لا يثبتون صفات المعاني التي أثبتها أهل السنة، فهم ينكرون صفة القدرة والعلم والإرادة، وغيرها من صفات المعاني، وقالوا: ليست هناك صفات زائدة على الذات.

السبب الثاني: أنهم يرُدُّون الأحاديث الواردة الثابتة؛ لأن المشبِّهة فسَّروها بتفسير من اللغة لا يليق بالله تعالى فكان مذهب المعطِّلة هو ردٌّ على فعل المشبِّهة، بينما أهل السنة أثبتوها لصحة أسانيدها، ومنعوا تفسيرها بالمعنى الباطل الذي قال به المشبِّهة، وهذا يكفي، ولكنْ لزيادة البيان: فمِن أهل السنة مَن ذكروا لها تفسيرًا صحيحًا مما ثبت في اللغة ولا يخالف الحق الذي يليق بالله تعالى.

مثال: المشبِّهة يفسِّرونَ حديث: « ينزل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر... »[(١)]، بأن الله ينزل نزولًا حقيقيًّا، أي: بحركة وانتقال من العرش إلى السماء الدنيا.

أما المعطِّلة، فأنكروا هذا التفسير؛ لأنه صريح في التشبيه، ويلزم منه قطعًا أن الله تعالى حادث، فأنكروا <u>**ثبوت**</u> هذا الحديث ، مع أن أسانيده صحيحة وطرقه كثيرة.

---

(١) (صحيح البخاري) ط دار طوق النجاة ، كتاب التهجد ـ باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل ٥٢/٢ حديث رقم ١١٤٥ .

أما أهل السنة والجماعة فنجَّاهم الله تعالى من تفسيرِ المشبِّهة وتعطيلِ المعطِّلة، فأثبتوا هذا الحديث الشريف، وأنكروا تفسيره بنزول الانتقال والحركة؛ لأنَّ الحركة حدوثٌ وتغيُّر، والله ليس بحادث.

ثم بعد ردِّ التفسيرِ الباطل الذي قال به المشبِّهة توقَّفَ الكثير من أهل السنة فَلَم يفسّروا معنى النزول، وتركوا الخوضَ في معناه، ومنهم من فسَّر معناه بأنه نزول معنوي، وهو تجلِّي الله لعبادِه بمزيد من الرحمة في هذه الساعة، وليس نزولَ انتقالٍ بحركة – كما فسَّره المشبِّهة –، **وكلاهما مسلكان صحيحان؛ لأن مستندهما هو أمر الله تعالى للعلماء بالبيان وعدم الكتمان، فاجتهدوا في بيان معناها كما في اللغة بيانًا يتضمن إثبات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص.**فأهلُ التشبيهِ المجسمةُ يظنون بعقولهم أن لله _سبحانه_ أعضاءً وجوارحَ، وأن العرش هو عبارة عن مكان يستقر الله تعالى فيه، وأن الله ينزل إلى السماء الدنيا نزولَ انتقالٍ، لا بمعنى نزول رَحَمَاته.

أما أهل السنة، فَهُم المثبتون لله تعالى الصفاتِ، مع تنزيه الله عن أوصاف المخلوقات.

والتنزيه وَرَد في الكتاب والسنة، وأَمَرَ الله تعالى به، فقال الله تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ (١)، يعني: تَنَزَّه وتَقَدَّس عن كل ما يصِفُه أهلُ الزيغ مما لا يليق به جل جلاله، وكذلك قال الله تعالى: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (٢)، **فكلمة « سبحان الله » أي: تَنَزَّه الله تعالى عن**

(١) سورة الصافات ، آية رقم ١٨٠ .
(٢) سورة النحل ، آية رقم ١ .

مشابهة المخلوقات وعن كل نقص. ومن الأدلة على وجوب التنزيه قول الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم﴾ (١)، ومن هنا نفى أهل السنة كل ما لا يليق بالله تعالى. فَكُل ما يفهم منه الجهلاءُ حدوثَ صفاتِ الله تعالى؛ نَفَاه أهل السنة عن الله تعالى؛ **لأن المعاني الباطلة لا يثبتها إلا من يقيس الخالق على المخلوق، أي: يُشَبِّه الخالق بالمخلوق،** فلما رأى المخلوقَ لا يوجد إلا في مكان وَجِهَة من الجهات الست؛ ظن أن الخالق مثل المخلوق، فنعوذ بالله من عقائد الضلال.

فإذا نظر المسلم في النصوص الشرعية المكرَّمة؛ وجد أن هناك كلماتٍ وَرَدَت في النصوص الشرعية تشتركُ في ألفاظها بين الخالق والمخلوق، ولكنها تختلف في معناها اختلافًا كليًّا، وهي على نوعين:

النوع الأول: ألفاظٌ هي صفاتٌ إذا أضيفت للخالق أو المخلوق: فهذه الصفات لا يوجد أي اشتراك في معناها بين الخالقِ _عزَّ وجلَّ _والمخلوقِ، ولكنها مجرد ألفاظ مشتركة.

مثال: الله عز وجل له قدرة، والمخلوق له قدرة، فاللفظ الحرفي واحد: (ق – د – ر – ة)، ولكن المعنى يختلف اختلافًا كليًّا، فقدرة المخلوق حادثة ومتغيرة ومحدودة، أما قدرة الله تعالى: فهي قديمةٌ بلا ابتداء، ولا تتغير، ومطلقةُ التعلُّقِ بجميع الممكنات، ودائمةٌ بلا انتهاء.

---

(١) سورة الشورى ، آية رقم ١١ ـ ١٢ .

فإذن؛ الاشتراك في الألفاظ فقط، أما المعاني والحقائق؛ فتختلف اختلافًا كليًّا.

النوع الثاني: هناك إضافات أيضًا وَرَدَت في النصوص، وهي كلمات تضاف للمخلوق، ولكنَّ حقيقتها ومعناها يختلف عند إضافته للخالق عز وجل، كاليد والساق والوجه ونحوها.

فهي في المخلوق جوارحُ وأعضاءٌ وليست صفاتٍ، والله منزَّه عن الأعضاء والجوارح بإجماع المسلمين، فَيَدُ المخلوق على المعنى الحقيقي هي عضو وطرَف، وكذلك ساقه ووجهه وأصابعه وجنبه وعَينه. والله يستحيل أن نَصِفَه بالأعضاء والأطراف، **وهذ أمر مجمَعٌ عليه بين المسلمين،** ينقله خَلَفُهم عن سَلَفِهم. وسأنقل بعض ذلك إن شاء الله تعالى عن علماء أهل السنة من المحدثين.

إذن؛ فكيف يكون عملُ أهل السنة عند ورود هذه الكلمات مضافة الى الله سبحانه وتعالى؟

أهل السنة والجماعة لهم مسلكان جائزان عند الكلام عن هذه الإضافات التي قد يُتَوَهَّم منها التشابهُ بين الخالق والمخلوق: **المسلك الأول:** إثباتها ، وعدم الخوض في معناها ، مع نفي التشبيه ، والجزم بِرَدِّ المعنى الباطل وهذا يسمى التأويل الإجمالي ، أو يسمَّى التفويض .

المسلك الثاني: الإيمان بثبوتها، وتأويل معناها، **لكن بثلاثة شروط:**

الشرط الأول: أن يكون هناك دافع يوجب صرْفَها عن معناها على

الحقيقة في اللغة إلى معنى آخر في اللغة.

الشرط الثاني: أن يكون هذا المعنى الآخَرُ الذي يفسِّرونها به لائقًا بالله تعالى.

لشرط الثالث: أن يكون هذا المعنى واردًا في لغة العرب.

مثاله: وُرُود اليد مضافة إلى الله تعالى.فيطبق نحوها الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: الإيمان بإثباتِ إضافتها إلى الله تعالى، وذلك بدليل النصوص الواردة.

الخطوة الثانية: الجزم بأن معناها ليس كما في المخلوق، فليست أعضاءً ولا أطرافًا ولا جوارحَ.

ومادام أنَّ هناك دافعًا يدفع إلى تأويل معناها؛ لذلك فَهُم ينفون تفسير معناها على الحقيقة في اللغة؛ لأن المعنى على الحقيقة هو العضو والجارحة، والله عز وجل منزَّه عن الجوارح والأعضاء والأطراف، فيصرِفُون هذا المعنى الباطلَ تنزيهًا لله تعالى عما لا يليق به، فهذا هو سبب التأويل.

الخطوة الثالثة: يفسرونها بمعنى صحيحٍ واردٍ في اللغة العربية، فاليد وَرَدَت في لغة العرب بمعنى القدرة والقوة والنعمة، وغيرها من المعاني العربية، فيختارون معنًى من هذه المعاني حسب سياق الآية، ﴿ يد الله فوق أيديهم﴾ (1)، أي: قوة الله فوق قوتهم. **كما في تفسير ابن جرير لسورة الفتح.**

ولأن الإنعام والتقوية يرجعان إلى صفة القدرة؛ فيقرِّرون أنها ليست زائدةً في معناها عن صفة القدرة، وهذا هو مسلك التأويل، أو يكتفون بالخطوة الأولى

---

(1) سورة الفتح ، آية رقم ١٠ .

والثانية، ولا يخوضون في المعنى، وهذا هو التفويض، أي: السكوت عن الكلام في بيان المعنى، ولكنْ بعد الجزم بنفي المعاني الباطلة.

الخطوة الرابعة: وهي أن يكون هذا المعنى المناسبُ في اللغة العربية يليقُ بالله تعالى، فإذا نظرنا إلى معنى القدرة؛ نجِدُ أنه يليق بالله تعالى، فاكتملت شروط التأويل.

وهذا الكلام السابق يجري في جميع المتشابهات، كالعين واليد والساق ونحو ذلك، فأهل السنة ينظرون حسب سياق الآية أو الحديث الذي وردَ ذِكْرُها فيه، مع النظر في النصوص الأخرى؛ ليحصل الجمع بين جميع الأدلة، فينتج القول الصواب المؤيَّد بالبراهين النقلية والعقلية.

النقول عن بعض علماء الحديث من أهل السنة في نفي الجوارح والجهة

١ـــقال الشيخ أبو بكر الاسماعيلي رحمه الله تعالى: ولا يعتقد فيه الأعضاء، والجوارح، ولا الطول والعرض، والغلظ، والدقة، ونحو هذا مما يكون مثله في الخلق، وأنه ليس كمثله شيء تبارك وجه ربنا ذو الجلال والإكرام. أ ـــهـ[١]

٢ـــوقال أيضاً: ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله عز وجل في القيامة، دون الدنيا،... وذلك من غير اعتقاد **التجسيم في الله** ـــعز وجل ـــ **ولا التحديد** له، ولكن يرونه جل وعز بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف. أ ـــهـ[٢]. وقال ص٦١: هذا أصل الدين والمذهب، واعتقاد أئمة أهل الحديث، الذين لم تشنهم بدعة، ولم تلبسهم فتنة. أـــهـ

(١)في كتابه اعتقاد أئمة الحديث ص٣٧
(٢) نفس المصدر ص٤٢_٤٣

٣ــ نقل الإمام أبو الفضل التميمي الحنبلي ــرحمه الله تعالى ــ عقيدة الإمام أحمد فقال: "وأنكر أحمد على من **يقول بالجسم** وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرضٍ وسمكٍ وتركيبٍ وصورةٍ وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجيء في الشريعة ذلك فبطل أ ــهـ[١]

٤ــوقال الامام الخطابي (ت. ٣٨٨ هـ): (إن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله. فإذا كان معلوما أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات **تحديد وتكييف**[٢]. فإذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه: ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول إنها **جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل** ونقول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات، لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات. أ ــهـ

٥ــ وقال الخطيب البغدادي: هُوَ إِثْبَات صِفَات أثبتها الله لنَفسِهِ وَلَا نقُول أَن

---

(١) (في كتابه عتقاد الإمام أحمد ص/٤٥)

(٢) فأهل السنة قاطبة ينفون الكيفية مطلقاً ،وهذا يناقض قول بعض المبتدعة أن له كيفية لا نعلمها.

معنى الْيَد الْقُدْرَة وَلَا إِن معنى السّمع وَالْبَصَر الْعلم **وَلَا نقُول إِنَّهَا جوارح وأدوات للْفِعْل وَلَا نشبهها بِالْأَيْدِي** والأسماع والأبصار الَّتِي هِيَ جوارح وأدوات للْفِعْل ونقول إِنَّمَا وَجب إِثْبَاتهَا لِأَن التَّوْقِيف ورد بهَا وَوَجَب نفي التَّشْبِيه عَنْهَا لقَوْله تَعَالَى {لَيْسَ كمثله شَيْء} وَقَوله {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحد}. أ ـ هـ [١]

٦ـ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري [ت٣١٠هـ] رحمه الله تعالى في قول الله تعالى: (ثم استوى إلى السماء) البقرةآية ٢٩ فقال: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال. اهـ [٢]

٧ـ وقال الحافظ محمد بن حبان (٣٥٤هـ) صاحب الصحيح المشهور بصحيح ابن حبان ما نصه: " الحمد لله الذي **ليس له حدٌّ محدودٌ فيُحتوى،** ولا له أجلٌ معدودٌ فيَفنى، **ولا يحيط به جوامع المكان**، ولا يشتمل عليه تواتر الزمان". [٣]

وقال أيضاً: "كذلك ينزل – يعني الله – بلا آلةٍ ولا تحركٍ ولا انتقالٍ من مكانٍ إلى مكانٍ ". [٤]

٨ـ وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في متن العقيدة الطحاوية: وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات. أ ـهـ (١)

---

(١) جواب الخطيب ملحق بكتاب اعتقاد أئمة أهل الحديث للإسماعيلي .ص٧٥
(٢) في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرءان (١/١٩١-١٩٢)، دار الفكر)
(٣) [الثقات (١/ ١)]
(٤) [الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٢/ ١٣٦)]

تنبيه: هذا الكلام في النقول السابقة هو على أحد الطريقتين لأهل السنة الأشاعرة وهو كون اليد صفة من صفات الذات وليست بمعنى القدرة ،ولكن من قال من أهل السنة أنها بمعنى القدرة ،وليست صفة مستقلة ،له أدلة قوية ،ومنها أن الصفة تشتق من الأسماء الحسنى ،واليد والوجه ونحوها ليست كذلك.

مثال:نقول:الله قادر وله قدرة ،وعالم وله علم ،وسميع ،وله صفة السمع ...،ولكن لا يمكن ذلك في اليد ونحوها فلا يمكن أن نقول أن الله تعالى يد ،سبحانه ،وليس هناك أي اسم ترجع إليه اليد.فتبيَّن أن اليد هي فقط كلمة مرادفة لمعنى القدرة ولكن قدرة متعلقة بما أُضيفت إليه في النصوص الشرعية الثابتة كخلق آدام ،ونحو ذلك،وهذا هو الراجح عند جمهور أهل السنة .

والمسألة من فروع العقيدة لأنهم متفقون على أنها ليست جزء من الذات وهذا يكفي لدفع التشبيه أما كونها صفة مستقلة من صفات المعاني ،أم أنها من معاني صفة القدرة،أم أنها النعمة فهذا أمر اجتهادي لكل فريق أدلته ،والله أعلم..

ضلالة التشبيه

سبق الكلام عن منهج أهل السنة والجماعة في الكلمات المضافة إلى الله تعالى، وأن منها صفاتٍ لله تعالى وأفعالًا ومفعولاتٍ. وسبق الكلام عن وسطية أهل السنَّة بين منهجِ أهل التعطيل الذين ينفون صفات المعاني ويردُّون الأحاديث الصحيحة، ومنهجِ أهل التشبيه.

وقد بيّن الإمام عبد القاهر البغدادي ـرحمه الله تعالىـ كما في كتابه (الفَرْق بين الفِرَق) أنَّ أولَ ظهورٍ للتشبيهِ كان صادرًا عن أصنافٍ من الروافض الغُلاة، ثم ذَكَر في كتابه فِرَقًا من المجسمة المشبهة [(١)].

وكذلك ذكر الإمام الشِّهْرِسْتاني ـ رحمه الله تعالى ـفي كتاب (المِلَل والنِّحَل) أنواعًا من المشبِّهة – نعوذ بالله من الفتن و الضلالات – [(٢)].

والمسلم العاقل إذا تأمَّل في عواقبِ مذهب التشبيه؛ عرف ضرورة تعلُّم عقيدة أهل السنة. فليس أشنع من مذهبٍ يزعمُ أنَّ ربنا – سبحانه وتعالى عما يصفون – له وجه بمعنى العضو أو الجزء! وفي هذا الوجه مجموعة أعين، أو فيه عين واحدة فقط كما فهموا بعقولهم، ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ [(٣)]، أي: تفسيرِه بما لا يليق بالله تعالى. أو يثبتون عينَينِ فقط بلا نص منطوق صريح، بل بفُهُومِهِم وعقولِهم مما فهموه من حديث الدجَّال؛ لأنهم لم يَسْتَسِيغُوا أن يتخيَّلوا وجهًا فيه مجموعة أعين، أو فيه عين واحدة،

(١) (الفَرْق بين الفِرَق) ط دار الآفاق الجديدة ، ص٢١٤ .
(٢) (المِلَل والنِّحَل) ط مؤسسة الحلبي ، ١٠٣/١ .
(٣) سورة آل عمران ، آية رقم ٧ .

فتركوا المنطوق في القرآن الكريم، وأثبتوا بفهمهم ما يشتهون — فقدموا المفهوم على الصريح المنطوق كما يأتي بيانه إن شاء الله. ومنهم من أثبتَ جنبًا، ثم أثبتوا يدين هما يمين - كما يأتي بيانه -، وأثبتوا ساقًا وهي واحدة فقط.

فهكذا لعبَتْ بهم الشياطين، ـفسبحان الله وتعالى عما يصفون ـ. والمشبِّهة صرَّحوا بالأعضاء والجوارح، ولكنْ من المشبِّهة مَن قال: « لا ننفيها ولا نثبتها »، فَجَعَلها تبدو كأمر مُحتَمَل ، أو هَرَب من لفظ الأعضاء والمكان مع عدم نفي معناه، وغفل عن كون العبرة بالمعاني.

أما أهل الحق من الصحابة وأتباعهم أهلِ السنة والجماعة؛ فقد سلَّمهم الله تعالى من التَّشبيه ومن التَّعطيل، فأثبتوها، وأثبتوا لها المعاني التي تليق بالله تعالى مما وَرَدَ في لغة العرب الفصيحة، فالحمد لله على توفيقه.

أمثلة لبيان الفرق بين مذهب أهل الحق ومذهب المشبهة

المثال الأول: الوجه: وَرَدَ الوجه في الكثير من النصوص الشرعية، والمشبِّهة على مدار تاريخِ التشبيهِ يفسرون وجه الله سبحانه وتعالى بأنه جزءٌ من الأجزاء التي تخيلوا أن الله ـسبحانهـ موصوف بها.

وبعض المشبِّهة لا يفهمون إلا أنَّ الله تعالى له أعضاءٌ وأجزاءُ – ومنها الوجه – ، ولكنهم يفرّون من كلمة جزء وعضو وطَرَف، ويَتَسَتَّرون بتسميتها صفاتَ الأعيان، أي لها كيفية وحجم معيَّن ولكن لا يعلمون هذه الكيفية وليست صفاتِ معنى، فَهُم يعتقدون أنه جزء من ذات الله – سبحانه وتعالى عما

يصفون –، ويلزم من هذا التفسير الباطل شناعات سيئة كثيرة.

أما أهل السنة والجماعة؛ فمنهم من يقول أن الوجه **هو صفة** من صفات المعاني، وليس بطرف ولا جزء فكما أن العلم صفةٌ وليست شيئًا مجسَّمًا؛ فكذلك الوجه صفةٌ وليست شيئًا من معاني الجِسْمِيَّة.

وأما جمهور أهل السنة والجماعة؛ فيعتقدون أن الوجه **كناية عن الذات**، فوجه الله تعالى يعني ذاتَ الله المتصفِ بالصفات عز وجل، ويأتي الوجه أيضًا في بعض النصوص بمعنى القِبلَة التي يتوجهون إليها. ويدل على أن الوجه هو بمعنى الذات في اللغة قوله تعالى ""ووجوه يومئذ باسرة *تظن أن يفعل بها فاقرة " فمعلوم أن الوجه لا يضاف إليه الظن ولا العلم وإنما يضاف للذات فالمقصود بالوجوه في الآية نفس الأشخاص، فإذن ليس إطلاق الوجه بمعنى الذات بمستبعد في اللغة والقرآن الكريم بل هو وارد بلا شك.

وتأمل في هذه النصوص: قال الله تعالى: ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (١)، قال جمهور أهل السنة: يعني يبقى الله تعالى وحده، ولو كان كلام المشبِّهة صوابًا؛ لكان معناه أنَّ كل شيء يفنى، ويبقى شيء واحد وهو الوجه!

وقال الله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ (٢)، أي: إلا هو عز وجل. وراجع كتب التفسير للعلماء المتقدمين رحمهم الله تعالى (٣).

(١) سورة الرحمن ، آية رقم ٢٦ ـ ٢٧ .
(٢) سورة القصص ، آية رقم ٨٨ .
(٣) (تفسير الطبري) ط دار هجر ، ٣٥٣/١٨ .

وقال تعالى: ﴿ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ (١)، يعني: يبتغي الله وحده لا شريك له بعمله، وليس المقصود أنه يعمل لأجل جزءٍ اسمُه الوجه.

وقوله تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله ﴾ (٢)، أي: نطعمكم لله تعالى، وليس معناه أننا نطعمكم لأجل صفة الوجه أو لأجل جزءٍ يسمى وجهًا!

وكقولِهِ تَعَالَى: ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ (٣)، أي: يريدون اللهَ بعملهم، وليس المقصود أنهم يريدون صفة الوجه.

وقوله تعالى: ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ (٤)، فالمقصود هو القبلة التي يستقبلونها.

وفي الحديث: « وأسألك لذةَ النظر إلى وجهك » (٥)، أي: النظر إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * **إلى ربها** ناظرة ﴾ (٦).

وفي الحديث أيضًا: « حجابهُ النُّور، لَوْ كَشَفَهُ لأَحرقت سُبُحَاتُ وَجْهه مَا انْتهى إِلَيْهِ بَصَرُهُ » (٧)، أي: سُبُحاتُ ذاته، والحجاب على المخلوق حقيقةٌ لضعفه.

---

(١) سورة الليل ، آية رقم ٢٠ .
(٢) سورة الإنسان ، آية رقم ٩ .
(٣) سورة الكهف ، آية رقم ٢٨ .
(٤) سورة البقرة ، آية رقم ١١٥ .
(٥) (سنن النسائي) ط مكتب المطبوعات الإسلامية ، كتاب السهو - باب الدعاء بعد الذكر ٥٤/٣ حديث رقم ١٣٠٥ .
(٦) سورة القيامة ، آية رقم ٢٢ - ٢٣ .
(٧) (صحيح مسلم) كتاب الإيمان - باب قوله عليه السلام : إن الله لا ينام ١٦١/١ حديث رقم ١٧٩ .

فتأمل كم الفرق بين فهم أهل السنة وفهم المشبهة، وليتهم قالوا: إن الوجه صفة من صفات المعاني وليس بجزء ولا جارحة، ولكنهم يتهربون من نفي ذلك؛ لأنهم يدورون على التشبيه، والتقسيم ،والتجسيم.

المثال الثاني: **اليد**: وردت اليد مضافة لله تعالى في نصوص كثيرة، وأهل السنة – سَلَفُهم وخَلَفُهم – يثبتون ذلك ويؤمنون به، ولا يفسرونها بشيء من معاني التشبيه، فيقطعون أن معناها ليس العضو ولا الجارحة ولا الأطراف.

وإنما أثبتوا أنَّ معناها يأتي في بعض النصوص كناية عن فعل من أفعال الله تعالى، وفي بعض النصوص كناية عن صفة القدرة. **فكلمة اليد في لغة العرب تأتي كثيرًا بغير معنى العضو والجارحة**. ولذا؛ جاءت اليدان في القرآن الكريم مضافة للرحمة – أي: للمطر –، ولا شك أن المطر ليست يداه – بمعنى الأعضاء والأطراف – فتأمل ذلك في قول الله تعالى: ﴿ وهو الذين أرسل الرياح بشرًا بين **يدي رحمته** وأنزلنا من السماء ماء طهورًا ﴾ [(١)]، فقوله: ﴿ يدي رحمته ﴾ – قطعًا – ليستا بعضوين للمطر، وهذا مشاهَدٌ محسوس.

وأضيفت اليد إلى القرآن الكريم، ولا شك أن القرآن الكريم ليس بذي أعضاء ولا جوارح، قال تعالى: ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من **بين يديه** ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [(٢)]، فقوله: ﴿ من بين يديه ﴾ لا تفسِّر يديه بالأعضاء والجوارح بلا شك.

---

(١) سورة الفرقان ، آية رقم ٤٨ .
(٢) سورة فصلت ، آية رقم ٤١ ـ ٤٢ .

إذن؛ في لغة العرب وفي القرآن الكريم دلائلُ واضحةٌ على أن هناك معنى لليدين غير معنى الأعضاء والجوارح، فلا ينكِر هذا إلا مكابِرٌ معاند.

ولذا؛ فهناك قاعدة مهمة، وهي: أن الصفات معاني، وأن الأعضاء أجسام.

ومن هذا المنطلق تعلَمُ أنه قد اختلف علماء أهل السنة والجماعة في معنى قوله تعالى: ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ (1)، هل معنى (يدي) صفتان لله تعالى، أم أنهما كناية عن القدرة؟

فمن قال أنهما صفتان فإنه ينفي أن تكون بمعنى الأعضاء. ولذلك فلا بد أن نفهم الفرق بين معنى الصفة ومعنى الأعضاء، فإن هناك فرقًا عظيمًا بين معنى الصفة ومعنى العضو أو الجزء.

مثال: العلم أو الإرادة أو الحياة – هي صفات من صفات المعاني –، فهل هي طرف وعضو وجارحة مجسمة، أم أنها صفات فقط وليست أجسامًا؟ لا شك أنها من صفات المعاني وليست أعضاء مجسمة، وكذلك اليد وغيرها إذا أضيفت إلى الله تعالى فليست أعضاء ولا جوارحَ.

فمن قال إنها صفة غير صفة القدرة، فالمقصود أنها من صفات المعاني وليست أعضاء.

فإذا فهمنا ذلك فلا حرج على المسلم السُّنِّيِّ إذا أثبت أنها صفة، ولكن بشرط: أن يعتقد كونها غير عضو أو جارحة، وهذا فعَلَه بعض أهل السنة رحمهم الله

(١) سورة ص ، آية رقم ٧٥ .

تعالى، كالإمام أحمد كما ذكر التميمي الحنبلي والإمام الأشعري في الإبانة، والإمام الباقلاني، والإمام القرطبي وغيرهم، كما سبق نقله ولكنهم ينفون الجوارح، لا كما يفعل المشبهة.

أما جمهور أهل السنة: فالصواب عندهم أن اليد ونحوها ليست بصفات مستقلة، بل لها معانٍ تُفهم من القرآن الكريم بلغة العرب، فهي تأتي في مواضعَ فتكون كناية عن صفة القدرة، وفي مواضعَ تأتي كناية عن فعلٍ من أفعال الله تعالى – وهو الإنعام –، وليست صفة مستقلة.

الصيغ اللفظية لليد: جاءت اليد في النصوص الشرعية بصيغة الجمع والمفرد والتثنية، كل هذا يدل على أنها كناية عن صفةٍ أو عن فعل وليست صفةً مستقلة.

ومهما أتت بصيغة الجمع والإفراد؛ فإن المشبهة يتجنبون هذه الصيغ، ويأخذون فقط بصيغة التثنية، ولم يثبتوا ما جاء بصيغة الجمع، رغم أن قاعدة اللغة تنص على الأخذ بالأكثر! **فما هو السبب الحقيقي لهذا التصرف**؟ إن السبب الحقيقي وراء هذه التصرفات المنحرفة هو أنهم قاسوا الخالق سبحانه على المخلوق، وظنوا أنه جسم مركب من أعضاء، وسموا الأعضاء صفاتِ أعيان من باب التلبيس على العوام، ولأنه لا يُستَساغ أن ترى إنسانًا له أكثر أو أقل من يدين؛ فراغوا عن آيات الجمع والإفراد، وأخذوا بالتثنية.

ولو أن المشبهة فهموا لغة العرب، وعلموا أن الله _عز وجل _منزهٌ عن الجوارح؛ لَمَا وقعوا في هذا العبث بالعقائد. وهنا سأذكر بعض الآيات التي وردت بالمفرد

ثم الجمع:

صيغة المفرد: من الآيات التي وردت بصيغة المفرد قولُه تعالى: ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ (١)، فهي تعني هنا: بقدرته وتحت تصرفه عز وجل، فأعرضوا عن الإفراد؛ لأنهم لم يشاهدوا إنسانًا سوِيًّا له يد – أي: طرف واحد فقط –.

ومنها قوله تعالى: ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (٢)، أي أن قوّة الله فوق قوّتهم، ومعنى القوة أيضًا يرجع إلى صفة القدرة.

صيغة الجمع: جاءت اليد أيضًا بصيغة الجمع، ولكن المشبهة أعرضوا عن إثبات اليد بصيغة الجمع؛ لنفس السبب – وهو قياسهم الخالق سبحانه على المخلوق –، ولأنه لا يُسْتَسَاغ أن ترى مخلوقًا سويًّا له أكثر من يدين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا﴾ (٣)، فقوله ـ ﴿ أيدينا ﴾ عند أهل السنة هو بمعنى القدرة، ولكن بأسلوب الجمع، والغرض من الجمع هو التفخيم والتعظيم.

وأما المشبهة: فلما شبّهوا الله بخلقه، واعتقدوا أن له أعضاء، وأنه لا يستساغ أن يكون له مجموعة أيْدٍ في الجسم الذي تخيّلوه لله سبحانه؛ تنكبوا هذه الآية وأمثالَها مما ورد بلفظ الجمع.

ألفاظ أخرى فَسَّروها بمعنى الأطراف: ورد لفظ اليمين في قوله تعالى: ﴿ لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ (٤)، فمعنى اليمين عند أهل

---

(١) سورة الملك ، آية رقم ١ .
(٢) سورة الملك ، آية رقم ١ .
(٣) سورة يس ، آية رقم ٧١ .
(٤) سورة الحاقة ، آية رقم ٤٥ ـ ٤٦ .

السنة: بقوة وقدرة قاهرة -كما في كتب التفسير [١] -، وليس المقصود طرفًا لله يسمى يمين - سبحان الله عما يظنون -، ولا يَفهم هذا المعنى الباطل إلا مَن غرِق في فتنة التشبيه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾ [٢]، أي: بقوته وقدرته، وليست بأعضاء ولا جوارح.

وكذلك في الحديث: « وكلتا يديه يمين » [٣]، كناية عن التمام والكمال، وليس بمعنى العضو والجارحة، كما نُقِل عن الإمام الخطابي [٤] رحمه الله تعالى.

إذن؛ كلمة اليد واليمين ونحوها هي نفس معنى القدرة والقوة أو العطاء كرماً، ونحوها من المعاني العظيمة، هكذا في لغة العرب.

صيغة التثنية: -وردت اليد بصيغة التثنية، وهو الأسلوب الوحيد الذي أخذ المشبهة به؛ لأنه المستساغ في الجسم الذي تخيّلوه - نعوذ بالله من البدع المضلة -. من ذلك قوله تعالى: ﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ [٥]، فهي كناية عن فعل من أفعاله - وهو الإنعام -، وهما نعمتان: نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، ولذلك أتت بصيغة التثنية، فهذا معناها في هذه الآية، فهما كناية عن الجود والعطاء، وهو فعل من أفعال الله تعالى. أما المشبهة فظنوا أنهما جارحتان.

---

(١) (تفسير القرطبي) ط دار الكتب المصرية ، ٢٧٥/١٨ .
(٢) سورة الزمر ، آية رقم ٦٧ .
(٣) (صحيح مسلم) كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل ١٤٥٨/٣ حديث رقم ١٨٢٧ .
(٤) نقله عنه البيهقي في (الأسماء والصفات) ، ط مكتبة السوادي ، ١٥٨/٢ .
(٥) سورة المائدة ، آية رقم ٦٤ .

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿ يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ [(١)]، قال بعض أهل السنة فيها: أن معناها صفة زائدة على معنى القدرة، أي أنهما صفتان وليستا بجارحتين، ولكن الصحيح أنهما كناية عن القدرة، والغرض هو لفت النظر إلى شرف آدم عليه السلام، والعرب تستخدم التثنية إذا كان الأمر عظيمًا، ومن ذلك ما جاء في الحديث: « إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي، لا **يدان** لأحدٍ بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور » [(٢)]، فتأمل كيف قال: « لا يدان لأحد بقتالهم »، والمقصود: لا قدرة لأحد على قتالهم، فتأمل استعمال التثنية في اليد، وليس المقصود – بلا شك – أنه لا أعضاء للناس، بل المقصود أنه لا قدرة لهم بقتال يأجوج ومأجوج.

المثال الثالث: النسيان: ورد النسيان مضافًا إلى الله تعالى إضافةَ فعلٍ إلى فاعلٍ، كما في قوله تعالى: ﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ [(٣)].

والنسيان يأتي في اللغة العربية بمعنى الذهول والغفلة – هذا هو المعنى الأصلي له –، ويأتي مجازًا بمعنى الترك.

فأهل السنة والجماعة وغيرهم من المسلمين قطعوا يقينًا بأن الله تعالى لا يوصف بمعنى الذهول أو الغفلة، وإنما معنى النسيان هنا هو التَّرْك، ولذا قال الإمام الطبري في تفسيره: «أي: ففي هذا اليوم – وذلك يوم القيامة – ننساهم،

---

(١) سورة ص ، آية رقم ٧٥ .
(٢) (صحيح مسلم) كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٣٢٥٠/٤ حديث رقم ٢٩٣٧ .
(٣) سورة الأعراف ، آية رقم ٥١ .

يقول: نتركهم في العذاب » [(١)]، فأهل الحق صرفوا هذا اللفظ عن ظاهره المعهود – وهو الذهول – إلى معنى مجازي – وهو الترك –.

ونقل الإمام ابن جرير هذا التأويل ورواه بأسانيده عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما وعن تلميذه التابعي مجاهد، وغيرهما.

المثال الرابع: الساق: معنى الساق على الحقيقة في لغة العرب: هي عضو أسفل الركبة، ولأن الله سبحانه وتعالى منزه عن الجوارح والأعضاء والأطراف – **بإجماع المسلمين** – فقد صرفها الصحابة رضي الله عنهم عن هذا المعنى الباطل إلى معنى صحيح في لغة العرب ويليق بالله تعالى، فقالوا: معنى ساق الله هو: أمرُه الشديد أو العظيم.

ففي تفسير سورة القلم، قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: « يقول تعالى ذِكرُه:

﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ [(٢)]، قال **جماعة من الصحابة والتابعين** من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد... وعن ابن عباس: ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ قال: **عن أمر عظيم**، كقول الشاعر: (وقامت الحرب بنا على ساق). حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ ولا يبقى مؤمن إلا سجد، ويقسو ظهر الكافر فيكون عظمًا واحدًا، **وكان سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يُكشف عن**

---

(١) (تفسير الطبري) ٢٣٧/١٠ .
(٢) سورة القلم ، آية رقم ٤٢ .

أمر عظيم، ألا تسمع العرب تقول: (وقامت الحرب بنا على ساق) » (١) أ_هـ. وأسند الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى الأثرَ المذكورَ عن ابن عباس بسندين كلٌّ منهما حسن – كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (٢) –، **وقال ابن عباس رضي الله عنه لما فسّرها بذلك:** « **إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر** » (٣)، وفي الحديث: « يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة » (٤)، فمعنى ساق الرب في الآية والحديث قد بيّنه الصحابة، وهو الأمر الشديد، ولذا فسرها ابن كثير بذلك، وساقَ فيها عند تفسير الآية الحديثَ السابق مستشهدًا بذلك على أن المعنى فيهما واحد (٥).

المثال الخامس: القدم: قال الله تعالى: ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ (٦)، فما معنى ﴿ قدم صدق ﴾؟ لا أظن أن هناك مسلمًا يعلم أساليب اللغة العربية سيتطرق إلى عقله أن للصدق قدمًا بمعنى الأعضاء والجوارح، وإنما المقصود هو الشيء الذي قدّموه من أعمال صادقة صالحة.

ووِفقَ هذا المعنى العربي فسّر العلماء ما ورد في حديثٍ متفق على صحته، قال فيه سيدنا رسول الله ﷺ: « لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع

(١) (تفسير الطبري) ١٨٦/٢٣-١٨٧ .
(٢) (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة ، ٤٢٨/١٣ .
(٣) (الأسماء والصفات) للبيهقي ١٨٣/٢ .
(٤) (صحيح البخاري) كتاب تفسير القرآن - باب « يوم يكشف عن ساق » ١٥٩/٦ حديث رقم ٤٩١٩ .
(٥) (تفسير ابن كثير) ، ط دار طيبة ، ١٩٨/٨ .
(٦) سورة يونس ، آية رقم ٢ .

رب العزة فيها قدمه، فتقول قطٍ قط وعزتِكَ، ويُزْوى بعضها إلى بعض » [(١)]، وأهل السنة علموا أن المقصود هو جماعة من الكفار يقدِّمهم الله، أي: يضعهم في جهنم، فتمتلئ بهم، وينضم بعضها إلى بعض، وتقول قطٍ قط، يعني: يكفي، فهذا هو قدمه الذي يضعهم في جهنم.

أما المشبهة فكعادتهم، اعتقدوا أن القدم أو الرجل كما ورد في بعض الألفاظ هي عضو وجارحة لله سبحانه يدخلها في جهنم. ولزم من عقيدتهم الباطلة أن الله تعالى يَرِد جهنم، وهذا مُحال، وهو نقيض قول الله تعالى: ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ﴾ [(٢)]، فتأمل كيف يؤدي التشبيه إلى ضلالات كثيرة -نعوذ بالله من الخذلان. وفي رواية: « فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رِجْلَه، تقول: قطٍ قطٍ قط، فهنالك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض » [(٣)].

والرِّجل في اللغة بمعنى الجماعة، فالعرب تقول: رِجْلُ جراد، يعني جماعة من الجراد، قال رسول الله ﷺ: « بينما أيوب يغتسل عريانًا، خرَّ عليه **رِجْلُ جرادٍ من ذهب**، فجعل أيوب يحثي في ثوبه، قال: فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك » [(٤)]، فقوله: « رجل جراد من ذهب » يعني جماعة أو جمعًا كثيرًا من الذهب، وليس

---

(١) (صحيح البخاري) كتاب الأيمان والنذور - باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ١٣٤/٨ حديث رقم ٦٦٦١ ، (صحيح مسلم) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٧/٤ حديث رقم ٢٨٤٨ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية رقم ٩٩ .

(٣) (صحيح مسلم) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٧/٤ حديث رقم ٢٨٤٦ .

(٤) (صحيح البخاري) كتاب التوحيد - باب قوله تعالى : « يريدون أن يبدلوا كلام الله » ١٤٣/٩ حديث رقم ٧٤٩٣ .

المقصود أعضاء جراد، وكذلك يضع رجله في جهنم يعني جماعة أو جمعًا من الناس يضعهم في جهنم فتكتفي، فهو إضافة مخلوق إلى خالق، وليس إضافة صفة إلى موصوف، ولا إضافة جزء إلى ذات كما يتخيل المشبهة.

وهذا الكلام يقال في كل ما يلزم منه التشبيه، كالأصابع والكَنَف وغيرها، فكلّها لها معان صحيحة تُفَسَّر بها، ولا يجوز تفسيرها بالمعاني الباطلة، كالأعضاء والجوارح ونحوها من التشبيهات.

ويتذكر المؤمن دائمًا قول الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (١)، ويتذكر آيات التسبيح الكثيرة التي تدل على تنزيه الله تعالى عن كل نقص وتشبيه. ويستحضر قول سلف أهل السنة: كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وقولَ الإمام الطحاوي في العقيدة: « تعالى الله عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» (٢).

المثال السادس: الاستواء: أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى الاستواء، ولا يفسرون معنى استواء الله تعالى بأنه الجلوس والاستقرار، أو أنه حلَّ في مكان – كما فسّره المشبهة –.والمشبهة فسّروا الاستواء بعقولهم المنحرفة تفسيرًا لا يليق بالله تعالى، فقالوا: الاستواء هو جلوسه على العرش، أو استقراره على العرش. **وأول من فسّره بذلك رجلان مبتدعان كذابان، وهما: الكلبيُّ (٣) ومقاتل**

---

(١) سورة الشورى ، آية رقم ١١ .

(٢) (العقيدة الطحاوية) ص ١٥ .

(٣) قال ابن حبان في كتابه (المجروحين) ط دار الوعي ، ٢٥٤/٢ : سمعت محمد بن يحيى السجستاني يقول : سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول : سمعت أحمد بن هارون يقول : سألت أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي ، فقال : (كذِب) ، قلت : يحل النظر فيه ؟ قال :(لا).

بن سليمان [(١)]، **فَهُمَا سَلَفٌ للمشبهة في تفسير الاستواء، ولا سَلَف لهم سواهما.**

وهذا التفسير باطل بلا شك، ولذا كان السلف ينفرون من هذا المعنى الباطل، ويزجرون من يفتح أبواب هذا الضلال، فعن جعفر بن عبدالله قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاءه رجل فقال: يا أبا عبدالله! الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فما وَجَدَ مالكٌ من شيءٍ ما وَجَدَ من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكُتُ في يده حتى عَلَاه الرُّحَضَاء – يعني العَرَق –، ثم رفع رأسه ورمى العود، وقال: « الكيف منه **غير معقول**، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة » وأَمَرَ به فأُخرِج [(٢)]، وقد جاء هذا الأثر عند البيهقي أيضًا في الأسماء والصفات بلفظ: « ولا يقال (كيف)، و (كيف) عنه مرفوع » [(٣)].

فالإمام مالك لم يصل الحال به إلى أن يشتدّ خوفُه حتى عَرِق إلا لأن السائل فهِم ما فهِمه المشبِّهةُ من أنَّ الاستواء هو الجلوس والاستقرار، وكل هذه المعاني الباطلة هي فرعٌ للكيفة.

فإذا قال السائل: كيف استوى؟ فالجواب – حسب عقيدة المشبهة –: استوى بجلوس واستقرار على العرش – نعوذ بالله من الضلال–.

---

(١) جاء في (سير أعلام النبلاء) للذهبي ، ط الرسالة ، ٢٠٧/٧ ما نصه : « وعن أبي حنيفة قال : (أتانا من المشرق رأيان خبيثان : جَهْمٌ معطِّل ، ومقاتل مشَبِّه) » .

(٢) (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني ، ط السعادة ، ٣٢٦/٦ ، (الأسماء والصفات) للبيهقي ٣٠٤/٢ ، وقال ابن حجر في (فتح الباري) ٤٠٧/١٣ : « إسناده جيد » .

(٣) (الأسماء والصفات) للبيهقي ٣٠٤/٢ .

وأما أهل السنة والجماعة فصرّحوا أن الكيفَ غير معقول – أي: غير ممكن –، والاستواء غير مجهول، أي: فنحن نعلم بورده في النصوص ولا نجهله. ولذا؛ فالإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفيات بدعة؛ لأنه لا كيفيةَ إلا للمخلوقات، ولذا قال الإمام مالك في الرواية الأخرى: « و (كيف) عنه مرفوع ».

معنى الاستواء: لأهل السنة والجماعة مسلكان في بيان معنى الاستواء:

المسلك الأول: نفي المعنى الباطل قطعًا – أي: نفي تفسيره بالجلوس أو الاستقرار في العرش –، ثم السكوت عن بيان معنى الاستواء، والسكوت عن الخوض في ذلك.

المسلك الثاني: نفي المعنى الباطل قطعًا، ثم إثبات المعنى الصحيح حسب قواعد اللغة العربية كما يليق بالله تعالى، وهذا المعنى اجتهادي.

فقال بعض أهل السنة: معنى « استوى »: أي هَيْمَنَ، وعَلَا عُلو قهرٍ وسلطة، وليس عُلو حلولٍ في مكان. وهذا من معاني الاستواء في اللغة المعربية. قال الشاعر العربي الفصيح يصف قهرَ قومِه لقومٍ آخرين:

فلمَّا عَلَونا واستوينا عليهمُ *** تركناهمُ صرعى لنسرٍ وكاسرٍ [(١)]

فليس قوله: « علونا واستوينا عليهم » بمعنى أنهم جلسوا أو استقروا فوقهم؛ بل معناه أنهم هَيْمَنوا عليهم وقَهَرُوهم، والشاهد من ذلك أن الاستواء في اللغة يأتي بمعنى الهيمنة والقهر، فَهُو علوٌّ معنوي.

---

(١) ذكره أبو القاسم الزجاجي في (اشتقاق أسماء الله) ط الرسالة ، ص١٠٩ ، والقرطبي في (تفسيره) ٢٧٨/٣ .

فمن يستبعد ذلك – رغم أن هذا المعنى يليق بالله تعالى، وهو من المعاني العربية الفصيحة – فهو مجرد مُشَغِّب متلاعب بالعقيدة، لا يبحث عن الوصول إلى الحق.

ومن الشواهد الأخرى في اللغة، قال الشاعر العربي الآخر:

قد استوى بِشْرٌ على العراقِ *** مِن غيرِ سَيْفٍ أو دمٍ مِهْراقِ (١)

ومعلومٌ أن استواء بِشْر بن مروانَ على بلاد العراق لا يعني الجلوس، وإنما هو هيمنة وسلطةٌ وعلوُّ قوة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ (٢)، وقوله [تعالى]: ﴿ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾ (٣)والقهار هو من: قهر كلَّ شيء بقدرته، وخضعت المخلوقات لعزّته، فهذا المعنى العربي الفصيح للاستواء هو الذي يليق بالله تعالى،**وتأمل تجدْ الآيات الكريمة تبرز هذاالمعنى العظيم**.ومنه أيضًا قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤)وقال تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ

---

(١) (الأزمنة والأمكنة) لأبي علي المرزوقي الأصفهاني ، ط دار الكتب العلمية ، ص٣٦ .
(٢) سورة الأنعام ، آية رقم ١٨ .
(٣) سورة الرعد ، آية رقم ١٦ .
(٤) سورة الأعراف ، آية رقم ٥٤ .

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[١]، فالاستواءُ بمعنى القهر والهيمنة والإخضاع يأتي منسجماً مع بقية الأفعال المذكورة في الآيات، وهي أفعال فَعَلها في مخلوقاته، فخلق،ودبر،وسخَّر،وهيمن،وأمر. وتأمل ختام كل آية لِتعلَمَ المراد من سياقها، بينما معنى الجلوس يأتي غريبًا عن السياق قطعًا، ولا يعطي إلا معنى الإعياء والتعب واللغوب – تعالى الله عن ذلك –، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [٢]، فلو كان تفسير الاستواء هو الجلوس والاستقرار؛ لكان معنى هذا أنه – سبحانه – خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم جلس بعد أن خلقها، وهذا لا معنى له إلا أنه حصل له تعب ومشقة، فكان الجلوس راحة من تلك المشقة، وهذا – واللهِ – لا يليق بالله تعالى القوي العزيز.

فمَن تدَبَّر واعتبر؛ فسيرى أن الآيات كلَّها تتكلم عن أمور دالة على عظيم قدرة الله تعالى، ونفوذِ إرادته وأمره، وليس لذِكرِ الجلوس بينها أيُّ مناسبة أصلًا، ولكنه من طمْسِ قلوب اليهود، ومن نَهَجَ منهجهم من المشبهة.

فمن أراد السكوت عن تفسير الاستواء بعد نفي المعاني الباطلة فهذا منهج صحيح من مناهج أهل السنة، ومن أراد أن يبيّن معنى الاستواء بعد نفي المعنى التجسيمي ببيان صحيح في اللغة – كما فعل علماء أهل السنة – فهذا أيضًا مسلَكٌ صحيح.

فالاستواء هو إخبار بهيمنة الله تعالى على العرش – وما دونه من المخلوقات

---

(١) سورة الرعد ، آية رقم ٢ .
(٢) سورة ق ، آية رقم ٣٨ .

من باب أولى –، وليس بحلول في العرش كما يفهم المجسمة.

تنبيه مهم: هل للسلف تفسير للاستواء بالاستقرار؟

لم يفسِّر أحدٌ من الصحابة ولا من جاء بعدهم من السلف الصالح الاستواءَ بالاستقرار، بل لم يثبت ذلك إلا عن رجلين كذابين مبتدعين، هما: الكلبي صاحب التفسير، ومقاتل بن سليمان رأس المشبهة.فهما سلف المشبهة في ذلك، ولا سلف لهم سواهما. جاء في كتاب (المجروحين) للحافظ ابن حبان، في باب الميم: « وكان الكلبي سَبَئِيًّا، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: (إن عليًّا لم يمتْ، وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة، فيملؤها عدلًا كما مُلِئتْ جورًا)، وإن رأوا سحابة قالوا: (أمير المؤمنين فيها)، ومات الكلبي سنة أربعين ومائة » (١).

وقال أيضًا: « أخبرنا عبد الملك بن محمد، قال: حدثنا عمر بن شَبَّة، قَالَ: حدثنا أبو عاصم، قَالَ لي سفيان الثوري، قَالَ: قَالَ لي الكلبي: (ما سمعتَه مني عن أبي صالح، عن ابن عباس، فهو كذب)... سمعت محمد بن يحيى السِّجِسْتاني يقول: سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول: سمعت أحمد بن هارون يقول: سألت أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي، فقال: (كذِب)، قلت: يحل النظر فيه؟ قَالَ: (لا) » (٢).

وأما مقاتل بن سليمان؛ فهو رأس المشبهة الكَذَبة. قال الذهبي في ترجمة مقاتل في (سير أعلام النبلاء): « قال وكيع: (كان كذابًا)، وعن أبي

---

(١) (المجروحين) لابن حبان ٢/٢٥٣ .
(٢) (المجروحين) لابن حبان ٢/٢٥٤ .

حنيفة قال: (أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهمٌ معطل، ومقاتلٌ مشبه) مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة، قال البخاري: (مقاتل لا شيء ألبتة)، قلت: أجمعوا على تركه »[1]. انتهى كلام الذهبي. فهذا هو مقاتل، وذاك هو الكلبي عند الأمة، فلا يأخُذُ عنهما في العقيدة إلا ضال.

نفي حلول الله سبحانه في أي مكان

إن الأدلة القطعية – المنقولة والمعقولة – تدل على تنزيه الله تعالى عن الحلول في العرش أو شيء من مخلوقاته، فمَن ظنَّ أن الله عز وجل قد حلَّ في العرش أو في السماء أو في الأرض؛ فقد خالف الأدلة الشرعية والأدلةَ العقلية والحسية، وبيانه يتلخص في النقاط التالية: –

النقطة الأولى: أن الله تعالى قال: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[2]، فإذا كان سبحانه يحلُّ في مكان؛ فهو إذن شبيه للمخلوقات؛ لأنه لا يوجد مخلوق إلا في مكان.

وأيضًا؛ يلزم من ذلك الاعتقاد السيء أن الله سبحانه له حجمٌ وكيفيةٌ بمقدارِ المكان الذي حلّ فيه، وهذا تشبيه بلا شك، فأين قوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾؟!

النقطة الثانية: يلزم منه أن الله سبحانه وتعالى محتاج للمكان، وهذا يناقِض وصفَهُ بصفة الغنى، قال تعالى: ﴿ إن الله لغني عن العالمين ﴾[3]، والعرش والسماء والأرض مخلوقات من ضمن العالمين، والله غني عنها، فكيف يظن

---

(١) (سير أعلام النبلاء) للذهبي ٧/٢٠٢ .
(٢) سورة الشورى ، آية رقم ١١ .
(٣) سورة العنكبوت ، آية رقم ٦ .

مسلم أن الله تعالى مستقرٌّ على العرش أو في السماء الدنيا أو في الأرض؟ فأين الغنى عنها؟!

النقطة الثالثة: أنه مخالف للمحسوس، فإن من يزعم أن الله تعالى على العرش، ثم يزعم أنه ينزل إلى السماء الدنيا حقيقةً ثلثَ الليل الآخر؛ فيلزمه أن الله تعالى في السماء الدنيا دائمًا؛ لأن الأرض لا تخلو من ثلث الليل في بلد من بلاد الأرض، فيدخل ثلث الليل مثلًا في تركيا، ثم مصر، ثم إسبانيا، وهكذا يدور على جميع بقاع الأرض على مدار الوقت، فلن تجد الأرضَ تخلو من ثلث الليل الآخر في أحد أقطارها، وهذا يناقض عقيدة من يقول أنه مستقر على العرش.

النقطة الرابعة: كل عاقل يتيقن قطعًا أن التغير يعني حدوث شيء، فكل متغير حادث. فمن يزعم أن الله تعالى لم يكن في مكان، ثم بعد أن خلق المكان حلَّ فيه، وأنه سبحانه يصعد وينزل نزولَ انتقال من مكان إلى مكان؛ فيلزمه أن الله تعالى متغير، وكل متغير حادث، وهذا ناقض لأصل اعتقادِ أن الله تعالى قديم بلا ابتداء.

النقطة الخامسة: أن المسلم الذي يعتقد أن العرش أكبر المخلوقات، وأن الكرسي أكبر من السماء بأضعاف مضاعفة، ومع هذا يظن أن الله سبحانه جالس في العرش وينزل إلى السماء الدنيا وهي أصغر من العرش؛ فلزمهم أن الله تعالى جسم، وأن هذا الجسم يتشكَّل بحسب حجم هذه المخلوقات، حتى يصغر فيكون بمقدار السماء الدنيا، ويكبر حتى يصير بمقدار العرش، فلزمتهم عقيدة التجسيم والتشبيه والتغير من حال إلى حال، فنعوذ بالله من الضلال.

فلا نجاة إذن إلا بتنزيه الله تعالى عن التفسيرات الباطلة التي فسَّر بها المشبهةُ الاستواءَ والنزولَ والمجيء، وغيرها مما اشتهر عنهم، ثم يزعمون أنها عقيدة السلف – حاشاهم عن ذلك –.

وفي تفسير الآية السابعة من سورة غافر عند قوله تعالى: ﴿ويؤمنون به﴾ (١) تكلم سيدنا الشيخ أحمد فتح الله جامي – حفظه الله تعالى – عن هذه الآية فقال: « أقول: واعتقادُ أهل السنة والجماعة أن الله جل وعلا ليس له مكان لا في الأرض ولا في السماء، لأنه كان ولا مكان، فهو إذًا ليس له مكان، وكذلك يدل على أن الملائكة _عليهم السلام _ ولو كانوا في السموات، فإنهم لا يشاهدون الله تعالى، **فإيمانهم إيمان غيبيٌّ** »أ_ هـ

المثال السابع: المجيء: أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى ما ورد في القرآن الكريم والسنة، ثم ينفُون المعاني الباطلة التي تنافي قوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (٢).

فالمجيء في قوله تعالى: ﴿ وجاء ربك ﴾ (٣) ليس – كمجيء المخلوقات – بانتقال وزوال من مكان إلى مكانٍ، وتغيُّرٍ وحدوثٍ لله تعالى، بل يفسر بما يليق بالله تعالى مما ورد في اللغة العربية وفي الشرع الشريف. ولذا؛ فسَّره العلماء بمجيءِ أمرِه، كما في قول الله تعالى: ﴿ فإذا جاء **أمر الله** قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾ (٤)، وكما قال تعالى: ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه

---

(١) سورة غافر ، آية رقم ٧ .
(٢) سورة الشورى ، آية رقم ١١ .
(٣) سورة الفجر ، آية رقم ٢٢ .
(٤) سورة غافر ، آية رقم ٧٨ .

سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [(١)]، وأمرُه هو قيام القيامة، وكقوله تعالى: ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ [(٢)]، وقال في قصة بني النضير: ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب[٣] **فإنه لا يخطر للعاقل – لولا تفسيرات المشبهة – أن الإتيان معناه بحركة وانتقال وتغيرٍ لله سبحانه من حال إلى حال**، وإنما الإتيان يفسَّر بالمعاني الصحيحة في اللغة، والتي نصَّ عليها القرآن الكريم كما يليق بالله تعالى؛ لأن أصل الإتيان عند أهل اللغة هو القصدُ إلى الشيء. وكما أنه سبحانه أحدث فعلًا سماه نزولًا، وفعلًا سماه استواء؛ فكذلك يحدث فعلًا يسميه إتيانًا، وأفعاله سبحانه لا يجوز أن تفسَّر بالانتقال والحركة والزوال؛ لأن ذلك فيه تشبيه لله سبحانه بالمخلوقات، تعالى الله عن مماثلة المخلوقات علوا كبيرًا.

وتأمل في تفسير الإمام القرطبي لسورة البقرة [(٤)] عند قوله تعالى: ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ [(٥)]، فقد شفى وكفى، جزاه الله وجميعَ علماء السنة خيرَ الجزاء. بعد سرد هذه الأمثلة؛ تأمل – أخي القارئَ الكريم – في حديث أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: « قال الله تعالى: (أعددتُ لعبادي الصالحين، ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، **ولا خَطَرَ على قلب بشر)** » [(٦)]، وصحَّ عن سيدنا ابن عباس أنه قال: « ليس في الدنيا من

(١) سورة النحل ، آية رقم ١ .
(٢) سورة النحل ، آية رقم ٢٦ .
(٣) سورة الحشر ، آية رقم ٢ .
(٤) سورة البقرة ، آية رقم ٢١٠ .
(٥) (تفسير القرطبي) ٢٥/٣ .
(٦) (صحيح البخاري) كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ١١٨/٤

الجنة شيء إلا **الأسماء** » [١].

فهذا الوصف لنعيم الجنة، وهي مخلوق من مخلوقات الله تعالى، ومع ذلك؛ لا يمكن أن يخطر على بال البشر، وليس له شبيه مما نراه في الدنيا، ثم تأمل أنه لا يوجد اشتراك بين ما في الدنيا وما في الجنة إلا الأسماء، وأما الحقائق والمعاني فتختلف اختلافًا تامًّا، ففي الجنة رمَّان وفي الدنيا رمَّان، والاسم واحد، ولكن؛ ليس بينهما أي اشتراك في المعنى، فإذا كان هذا في مخلوق؛ فكيف بخالقها عز وجل – ولله المثل الأعلى –.

فلا يعلم حقيقة الله تعالى وصفاته إلا هو عز وجل، فكل ما أمكن أن يخطر في البال، فالله بخلاف ذلك، قال الله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم ﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ [٣]، فقوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ عامٌّ يشمل جميع الأشياء

حديث رقم ٣٢٤٤ .
(١) (تفسير الطبري) ٤١٦/١ .
(٢) سورة الشورى آية ١١_١٢
(٣) سورة الزمر ، آية رقم ٦٧ .

أقسام الحكم من حيث مصدره

للحكم أقسام ثلاثة، وهي:

القسم الأول: الحكم الشرعي، وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين. وهو على نوعين: النوع الأول: الحكم الشرعي التكليفي، والنوع الثاني: الحكم الشرعي الوضعي. وهذا القسم يدرس في علم أصول الفقه. فهذا الحكم متوقف على ورود حكم الله تعالى به، فلا يمكن أن يحكم به من خلال التجربة ولا بالعقل.

القسم الثاني: الحكم العادي، وهو الذي يدرك ويعلم بالتجربة والتكرار.

مثاله: ثبوت أن النار محرقة. فهذا حكمٌ عُرف بالتجربة والتكرار، فإنه عُلِم بالتكرار أنه عندما يحصل اقترانٌ بين الجسم والنار يحصل احتراق للجسم. وسيأتي تفصيل الكلام عن الحكم العادي وعقائد الناس فيه إن شاء الله تعالى.

القسم الثالث: الحكم العقلي، وهو ما يدركه العقل مباشرة دون تجربة وتكرار، ودون وضعِ واضعٍ. **والحكم العقلي له ثلاثة أقسام، وهي:**

القسم الأول: الواجب، وهو ما لا يقبل الانتفاء.

مثاله: وجوبُ وجودِ خالقٍ أوْجَدَ هذا العالم.

القسم الثاني: المستحيل، وهو ما لا يقبل الثبوت.و قد ورد في مواضع من النصوص بلفظ ﴿ وما ينبغي ﴾، كقول الله تعالى: ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا ﴾ (١)، أي: أن هذا مستحيل، ولا يجوز على الله سبحانه أن يكون

---

(١) سورة مريم ، آية رقم ٩٢ .

كذلك.فكلمة ﴿ وما ينبغي ﴾ في هذه الآية تُحقِّق نفس المعنى الذي يستخدمه أهل العقيدة عند استعمالهم لكلمة « يستحيل ».

القسم الثالث: الجائز أو الممكن، وهو ما يصح وجوده أو عدمه.

مثاله: إنزال المصائب أو رفعها، فإنه ليس بواجب ولا بمستحيل، بل هو ممكن.

وكذلك هذا العالم ليس بواجب الوجود، ولا بممتنع الوجود؛ لأنه لو كان واجب الوجود؛ لما كان معدومًا ولا لَحِقَه الفناء، وليس بمستحيل الوجود؛ لأننا نعلم بالحس أنه موجود. إذن فهو جائز الوجود.

والأبواب في كتب عقيدة أهل السنة والجماعة ثلاثةُ أبواب مباركة، وهي: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات. وهي تجمع جميع أركان العقيدة الستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

بيان أول ما يجب على المكلف

يجب على كلِّ مكلفٍ الإيمانُ باللهِ تعالى ورسولِ الله سيدِنا محمدٍ ﷺ، وتصديقُ ما جاء به.

وهذا الإيمان يتبعه الإقرار باللسان، وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ، ولكن هذا لا يمكن أن يكون إيمانًا صحيحًا إلا إذا كان المكلف يعرف الله تعالى ويعرف رسول الله ﷺ معرفةً لا تنقُضُ إيمانه، فيلزم كلَّ مكلفٍ العلمُ بأمرين: –

الأمر الأول: الإيمان الإجمالي: حيث يجب عليه أن يعلم ويعتقد أن كل كمال لا نقص فيه بأي وجه من الوجوه فهو واجب لله تعالى، وكمالات الله تعالى لا نهاية لها، فليست منحصرة في عدد محدد من الصفات ولكن؛ لم يكلفنا الله تعالى بمعرفة جميع كمالاته، فتَرَك التكليف بذلك تفضُّلًا منه عز وجل. ويجب على المكلفين أن يعلموا ويعتقدوا بنفي كل ما يستحيل في حق الله تعالى، ويجب أن يعلموا ويعتقدوا أن فعلَ كلِّ ممكنٍ أو تركه؛ فهو جائز في حق الله تعالى.

الأمر الثاني: الإيمان التفصيلي، وهو ثلاثة أشياء: –

الشيء الأول:الإيمان بالصفات العشرين :اتضح بما سبق أنه يجب على كل مكلف أن يعلم إجمالًا ويعتقد أن صفات الكمال لله تعالى لا تنحصر في عدد معين، ولكن؛ باستقراءِ العلماء وتتبعهم للنصوص، ومعرفةِ معناها في لغة العرب؛ ظهر لهم منها ثبوتُ عشرين صفة لله تعالى، و هي أصول الصفات،

فالعبد مكلف بمعرفتها تفصيلًا.

الشيء الثاني: يجب أن يعلم ويعتقد بأن أضدادَ الصفات العشرين منفية عن الله تعالى.

الشيء الثالث:أن يعلم ويعتقد بالعقائد السمعية التي ثبتت في النصوص، كأمورِ الآخرة والثوابِ والعقابِ، وأن وجوبها شرعي لا عقلي. ويجب أن يعلم ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الرسل والأنبياء الكرام عليهم السلام، كما يأتي في مبحث النبوات إن شاء الله تعالى.

ولهذا قال العلماء: أن العلم – أي: معرفة الله تعالى ورسلِه – هي أول واجب على المكلف.

والمعرفة: هي الجزم المطابق للواقع عن دليل، **ووجوب هذه المعرفة ثبت بالشرع وليس بالعقل؛** لأنه لا حكم قبل بلوغ الشرع لا في أصول الدين ولا في الفروع، فالمعرفة ثابتة بالشرع ولكن بشرط العقل،؛ لأن من لا عقل له ليس عليه تكليف.

وهذه المعرفة لن تحصل إلا بالنظر والتفكر، فهو واجب للوصول للمعرفة.

من الأدلة على وجوب معرفة الله ورسله عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴾ [1] إذن؛ المقصود من هذه المخلوقات هو العلم بالله تعالى وقدرته وعلمه.

---

(١) سورة الطلاق ، آية رقم ١٢ .

وقال الله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ (١).

ومن الأحاديث الموافقة للآيات، ما ذكره الحافظ ابن حبان بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن، قال: « إنك تقدُمُ على قوم من أهل الكتاب، فَلْيَكُن أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله، **فإذا عرفوا الله**؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوه؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بهذا فخذ منهم، وتوَقَّ كرائم أموال الناس » (٢). فتَنَبَّه إلى قول المصطفى ﷺ: « فإذا عرفوا الله... » ثم ذِكْرِ العبادات العملية، وأول العبادات الصلواتُ الخمس، **لكن؛ بعدَ أن يعرفوا الله تعالى على الوجه الصحيح، وليس بفهمهم التقليدي الشركي**. ومن يعتقد أنهم يشهدون الشهادتين وهم لا يعرفون الله عز وجل ورسولَه ﷺ؛ فقد غلط غلطًا كبيرًا خالَفَ به الآياتِ الكريمة، وخالَفَ العقل السليم. **فالعلماء الذين يجمَعُون بين النصوص؛ بيَّنوا للمسلمين أن النظر في مخلوقات الله تعالى مطلوب؛ لأنه وسيلةٌ أمَرَنا الله تعالى بها؛ ليكون ثمرتُها معرفةُ الله تعالى، فيشهد الشهادتين مُقِرًّا بما عَلِمَ وعَرَف، ثم يؤدي أعمال العبادة بيقين.**

هذا هو الترتيب الحق الذي استنتجه علماء المسلمين لـمَّا نظروا في نصوص الشرع المبين التي يوافقها العقل السليم، فيقود هذا النظر إلى معرفة ما

---

(١) سورة محمد ، آية رقم ١٩ .
(٢) (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان) ط مؤسسة الرسالة ، كتاب الإيمان - باب فرض الإيمان ٣٧٠/١ حديث رقم ١٥٦ .

يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله تعالى ورسلِه.

والمعرفة بالله تعالى في علم العقيدة – والتي تكلَّم عنها أهل السنة في الأبواب التالية – هي التي يكون في مخالفتها الكفرُ غالبًا، وفي بعضها بدعة.

تنبيه مهم: لو كان الإنسان يشهد الشهادتين ويصلي، ولكن يظن أن الله سبحانه نبات أو إنسان أو جبال أو غيرها من أنواع الأجسام؛ فَمَا عَبَدَ اللهَ، بل عبد وأقر لذلك الشيء الذي يسميه « الله ».

إذن؛ تكون المعرفة بأن يعرف الواجب والمستحيل والممكن في حق الله تعالى وفي حقِّ الرسل _عليهم السلام_. وقد دل على الثلاثة أقسام أدلةٌ نقلية شرعية وبراهينُ عقلية قطعية تدل على أن الله تعالى كما قال في كتابه الكريم ﴿ ذلك بأن الله **هو الحق** وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم لهم منكرون ﴾ (٢).

شروط التكليف بالمعرفة

المكلف: هو من توفرت فيه أربعة شروط، وهي: أن يكون بالغًا، عاقلًا، وأن تبلغه الدعوة، وسلامة الحواس.

شرح هذه الشروط: الشرط الأول: البلوغ، أي: أن يَتِمَّ سن التكليف. فالصبي ليس مكلفًا؛ لأنه ليس بالغًا، فلو مات قبل البلوغ فهو ناجٍ، حتى أولاد الكفار

(١) سورة لقمان ، آية رقم ٢٩ ـ ٣٠ .
(٢) سورة المؤمنون ، آية رقم ٦٩ .

– على الصحيح – وليس عليهم عقاب، وهذا قول الجمهور، أما الحنفية فقالوا: إن الصبي العاقل مكلَّف بالإيمان؛ لوجود العقل، وأما بقية الشرائع فلا تجب إلا بالبلوغ.

فإن مات الصبي بدون إيمان، فهو ناجٍ عند الجمهور؛ لأنه غير مكلف، ومن أهل النار عند الحنفية؛ لأنه مكلف بالإيمان.

الشرط الثاني: العقل، فإن بلغ الإنسان وهو مجنون، واستمر على ذلك حتى مات؛ فليس بمكلف، وهو ناجٍ يوم القيامة، أما لو بلغ عاقلًا، وكان غيرَ مؤمن، ثم جُنَّ، واستمر على جنونه حتى مات؛ فهو غير ناجٍ، بل كافر.

الشرط الثالث: سلامة الحواس، وهي السمع والبصر. فلو وُلد وهو لا يسمع و لا يبصر فليس عليه شيء؛ لأنه لا يمكن بلوغ الدعوة له. وهذا الشرط يُلحِقُه بعض العلماء بشرط بلوغ الدعوة.

الشرط الرابع: **بلوغ الدعوة**، فمَن لم تبلغه الدعوة – كالذي نشأ في شاهق جبل، أو نشأ في وسط غابات – فليس بمكلف على الأصح، خلافًا لمن قال: إنه مكلف لأنه عاقل! فوجود العقل عند أصحاب هذا القول يكفي في وجوب المعرفة.**وبعضُ العلماء يَشترِط أنْ تبلغَه الدعوة إلى الإسلام الصحيح، وليس بصورة مشوَّهة مناقِضَة لدين الإسلام. وقد فصَّل ذلك الإمام الغزالي ــ رضي الله عنه ــفي (فيصل التفرقة)** (١).

وتكلَّم العلماء في مسألة أهل الفترة، وأهل الفترة: هم من كانوا في الفترة الزمنية التي بين الأنبياءعليهم السلام ولم يُرسَل إليهم رسول، فهم ناجون؛ لأن الدعوة

(١) (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) للغزالي ، تعليق : محمود بيجو ، ص ٨٦ .

لم تبلغهم. قال تعالى: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا ﴾ [١]وهي ظاهرة المعنى،فكل حديث تَوَهَّم الناس أنه يعارضها فلا بد أنَّ له تفسيرًا صحيحًا لا يعارض الآيات القطعية،وهذا المعنى عَلِمَه مَن عَلِمَه من أئمة المسلمين، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

مسألة نجاة والِدَي سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام

تحت مسألة حكم أهل الفترة تندرج مسألة أخرى، وهي نجاة والِدَي رسول الله ﷺ؛ لأن الدعوة لم تبلغْهما، وكانا في زمن الفترة. وبما سبق يعلم السُّنِّي بنجاة والدي سيدنا رسول الله ﷺ، لأنهما ماتا في زمن الفترة قبل بعثته ﷺ، وأما من يقول: إنهما وغيرهما من أهل مكة قبل البعثة المحمدية ليسوا من أهل الفترة فقد غلط، وخالف نصوص القرآن الكريم، كما يأتي نقل بعضها إن شاء الله تعالى.

الأدلة على نجاة أهل الفترة: سبق أن الفترة هي المدة الزمنية التي تكون بين رسولين.

وقد كانت بين سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا محمد رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ ولتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿ لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ﴾ [٣]، وقال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على **فترة** من الرسل ﴾ [٤]، فَهُم أهل فترة

(١) سورة الإسراء ، آية رقم ١٥ .
(٢) سورة القصص ، آية رقم ٤٦ .
(٣) سورة يس ، آية رقم ٦ .
(٤) سورة المائدة ، آية رقم ١٩ .

بصريح القرآن الكريم. وقد أنزل الله تعالى الآيات الكثيرة في عدم تعذيب أهل الفترة، منها على سبيل المثال وليس الحصر: قال الله تعالى:﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا﴾ (١)وقوله تعالى:﴿رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (٢)وقوله عز وجل:﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ (٤)، ولم يُدخِل الله أحدًا النارَ إلا بعد بلوغ الدعوة إليه، والدليل قوله تعالى﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ﴾ (٥)، ومعلومٌ أن قوله عز وجل: ﴿ كلما ألقي فيها فوج ﴾ يعمُّ جميع الأفواج الملقَين في النار، قال أبو حيان في تفسير (البحر المحيط) عند تفسير هذه الآية: « و ﴿ كلما ﴾ تدل على عموم أزمان الإلقاء؛ فتعمُّ الملقَين » (٦).

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٧).

---

(١) سورة الإسراء ، آية رقم ١٥ .
(٢) سورة النساء ، آية رقم ١٦٥ .
(٣) سورة الأنعام ، آية رقم ١٣١ .
(٤) سورة المائدة ، آية رقم ١٩ .
(٥) سورة الملك ، آية رقم ٨-٩ .
(٦) (البحر المحيط في التفسير) لأبي حيان ، ط دار الفكر ، ٢٣/٧ .
(٧) سورة الزمر ، آية رقم ٧١ .

فهذه النصوص الشريفة كافيةٌ لمن أراد الحق واحتاط لدينه؛ ليتجنب القول البعيد في أهل الفترة ووالِدَي المصطفى ﷺ. وأما حديث أنس رضي الله عنه أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: « **في النار** »، فلما قَفَّا دعاه، فقال: « **إن أبي وأباك في النار** » [(١)]؛ فالمقصود: عمُّ النبي ﷺ؛ لأن العرب إلى يومنا هذا تُطلِق الأبَ على العم، وأبو لهب عمُّ سيدنا رسول الله ﷺ قد بلغته الدعوة ولم يسلم، فهو في النار.

ويدل على إطلاق الأبَ على العم أدلةٌ كثيرة منها:

من القرآن الكريم: ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله **آبائك** إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون ﴾ [(٢)]، فسيدنا إسماعيل عمٌّ لسيدنا يعقوب عليهما السلام، والآية أطلَقَت عليه أب ﴿ وإله آبائك ﴾، فهذا صريح في أن الأب يُطلق على العم، فيعقوب هو ابن إسحاق، قال رسول الله ﷺ: « **الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم؛ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** » [(٣)].ومن السنة: قال رسول الله ﷺ: «... **والعم والد** »، رواه الطبراني وحسَّنه الهيثمي وغيره. [٤]

وروى ابن أبي حاتم عن أبي العالية ومحمد بن كعب في تفسير هذه الآية أنه

---

(١) (صحيح مسلم) كتاب الإيمان - باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ١٩١/١ حديث رقم ٢٠٣ .
(٢) سورة البقرة ، آية رقم ١٣٣ .
(٣) (صحيح البخاري) كتاب تفسير القرآن - باب قوله : (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أوبيك من قبل إبراهيم وإسحاق) ٧٦/٦ حديث رقم ٤٦٨٨ .
(٤) المعجم الكبير للطبراني ٨٤/٣ومجمع الزوائد حديث رقم ١٥٥١٤

سمى العم أبًا.

فإذن؛ المقصود عمه وليس والده الحقيقي؛ لأنه أصلًا لم تبلغه الدعوة المحمدية.

باب الإلهيات

أقسام الصفات

إن علماء أهل السنة حين تدبروا النصوص الشرعية وجدوا أن لله تعالى أسماء تدل على صفات لله تعالى ،ووجدوا أنَّ معاني هذه الصفات في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ،**تنقسم إلى قسمين**:

القسم الأول:قسم يدل على أفعال يفعلها الله تعالى: مثل الخلق ،والرزق والإحياء والإماتة ... ونحوها من الأفعال ،ولا شك أن اتصاف الله بمعناها قديم وهو القدرة ،أي القدرة على الخلق وعلى الرزق ،والاحياء ،والبعث وغيرها وأما نفس الفعل ،أي فعله للخلق وغيره من الأفعال ؛فحادث بلا ريب ،فإذن الأفعال حادثة .

القسم الثاني:صفات قديمة غير حادثة:وهي التي لايدل معناها على أفعال بل على صفات قديمة لابداية لها .والصفات تختلف في معناها عن الذات ،وعن الأفعال .

فالخلاصة:هو أن الله تعالى: ذات ، وله صفات ،وأن هذه الصفات قديمة قدم ذاته_عز وجل _وأن الصفات منها ما هو صفات وجودية قائمة بذات الله تعالى وليست هي عين الذات ولا منفصلة عن الذات.ومنها ماليس قائم بالذات الإلهية بل هو صفة اعتبارية كالوجود .ومنها ماهو صفات لنفي النقص عن الذات وعن الصفات وهي الصفات السلوبية.ومنها ماهو اعتبارات وأحكام لصفات المعاني وليست زائدة على ذلك وهي المعنوية. فذاته وصفاته

قديمة بلا ابتداء وهي مدار هذه المباحث التالية .

ثم إنَّه أحدث أفعالاً ومفعولات ،كالخلق،وهو:إيجاد المخلوق ، ونحوه من الأفعال والمفعولات وهذه حادثة .

وهنا أذكِّرُ أن هناك ألفاظ جاءت في النصوص دلت على صفة من الصفات وليست أعضاء ولا أجزاء كاليد ونحوها مما سبق الكلام عليه .وهناك أفعال فعلها الله تعالى في مخلوقاته كالاستواء ،والمجيء ،والنزول ،ونحوها مما سبق الكلام عنها وعن معانيها في اللغة والشرع ،فهي حادثة كسائر الأفعال.

وصفات الكمال لله تعالى لا حصر لها، ولكن مما يجب لله تعالى إثبات عشرين صفة، وقد قَسَّمها العلماء إلى أربعة أقسام، وهي:

القسم الأول: الصفة النفسية، وهي صفة واحدة، هي: صفة الوجود.

القسم الثاني: الصفات السلبية، وأصولها خمس صفات ثابتة لله تعالى، وفي إثباتها سَلْبٌ لِضِدِّها من الصفات الباطلة.

القسم الثالث: صفات المعاني، وهي سبع صفات.

القسم الرابع: الصفات المعنوية، وهي سبع صفات.

أولاً: الصفة النفسية

وهي الوجود. فالله تعالى لا يجوز عليه العدم أزلًا وأبدًا؛ بل هو واجب الوجود، ووجودُه غير معلَّل بعلة، أي أنَّه لم يؤثِّر في وجوده شيءٌ سبحانه وتعالى، فوجوده تعالى ذاتي، بخلاف وجود المخلوقات؛ لأن وجود المخلوقات هو بفعلِ فاعلٍ فَعَلَها، وهو ربنا عز وجل، فأوجدها بعد العدم.

سبب تسميتها صفة نفسية: صفة الوجود يدل الوصف بها على نفس ذاتِ مولانا ــعز وجل ــدون معنى زائدٍ على الذات، ولذلك سميت صفة نفسية، أي: تدل على نفس الذات الإلهية، فصفة الوجود ليست كصفات المعاني قائمةً بالذات زائدة عليه، بل هي فقط صفة اعتبارية يعتبرها الذهن، ومعناها: أن الله موجود.

الأدلة على وجود الله تعالى: يدل على وجود الله ــعز وجل ــأدلة نقلية وعقلية.

فمن الأدلة النقلية: في سورة الأنعام قال الله تعالى: ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ (١)،

وقال تعالى: ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿إن في السماوات

(١) سورة الأنعام ، آية رقم ١٠٢ .
(٢) سورة البقرة ، آية رقم ١٦٤ .

والأرض لآيات للمؤمنين*وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون * واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ﴾ (١).

وأما البراهين العقلية: فمَن تأمل في النصوص القرآنية؛ عرف أن الله أمر بالتفكر في المخلوقات؛ ليَنتُج عن هذا التفكر ثمرات عظيمة، وأساسها في ثمرتين:

الثمرة الأولى: أن يحصل أصل الإيمان بوجود الله تعالى وبصفاته العظيمة، كالقدرة والإرادة والعلم والحياة.

والثمرة الثانية: كمال الإيمان، وذلك بزيادة اليقين عند زيادة الدلائل.

فأما أصل الإيمان؛ فبيان ذلك أنَّ من نظر في هذه المخلوقات – ومنها الإنسان –؛ وجد أنها حدثت بعد عدم، ووجد أنها تتغير من حال إلى حال، وهذا العدم والوجود يحصل للذوات والصفات.

فما الذي رجَّح كفة الوجود على كفة العدم؟! فنحن رأينا بأعيننا أشياءَ كانت عدمًا، ثم أُوجدت بعد ذاك العدم، فمَن الذي رجح كفة الوجود على العدم؟ لا شك أن هناك سببًا لذلك؛ **لأنه من المستحيل رجحان كفةٍ على كفةٍ بدون مرجح.**

ويستحيل التسلسل أيضًا – وهو أن يكون وجود الحادث متوقفًا على وجود حادثٍ قبله إلى ما لا بداية له –؛ فيكون الشيء حادثاً أي مخلوقاً والذي خلقه هو شيء قبله والذي قبله مخلوق أيضا ممن قبله وأيضا خالقا لما بعده! فهذا

---

(١) سورة الجاثية ، آية رقم ٣ ـ ٥ .

مستحيل لأن العاجز المفتقر في وجوده إلى من يوجده لا يمكن أن يكون خالقاً لما بعده قطعا، وهذا الهوس الإلحادي سيؤدي إلى عدم تحقق شيء من هذه المخلوقات التي نشاهدها، إلا إذا فُرِض الانتهاء إلى سببٍ في وجودها لا يتوقف في وجودِه على الاحتياج لسببٍ يُوجِده، وهنا تنقطع السلسلة، وتتحقق وجود جميع الحوادث الموجودة في السلسلة مستندةً إلى سبب في وجودها لا يفتقر في وجوده إلى شيء،بل وجوده ذاتي دون سبق عدم،فيكون هو خالق غير مخلوق،ويكون هو الخالق لكل أفراد سلسلة المخلوقات.

ويستحيل الدَّوْر – وهو أن يكون وجود الشيء متوقفًا على وجود نفسه — أو على وجود شيء يتوقف وجوده على وجود الآخر؛ لأنه يلزم أن لا يحصل أيُّ وجود له، ولا يجوز أن يكون كلٌّ من الشيئين فاعلًا للآخر؛ لأنه يُفضِي إلى الدور، وهو أن يكون كل منهما قبلَ الآخر، وهذا ممتنع قطعًا.

فإذن؛ لا بدَّ من شيءٍ وجوده غيرُ متوقف على وجودُ شيء، وبهذا يكون قديمًا غيرَ حادث؛ فيكون سببًا لوجود كل الحوادث، وهذا الشيء هو الفاعل لكل حادث، **ونحن نؤمن بهذا الشيء، وهو الله عز وجل، كما تواترت النقول عن الرسل الكرام الذين أيّدهم الله بالمعجزات الباهرة عليهم الصلاة والسلام.**

فتغيُّر الشمس والقمر والسموات والإنسان هو أعظم برهان على عدم كونها أربابًا؛ لأن التغيَّر يدل قطعًا على الحدوث – فالتغير هو حدوث شيء أو فناؤه وكل متغير حادث، وكل حادث لا بد له من فاعل أوجَدَه، وهذا الفاعل لا بد

أنه يتصف بقدرة،وإرادة،وعلم،وحياة...إلخ

إذن نستنتج نتيجتين أساسيتين:

النتيجة الأولى:أن الله تعالى أنعم على الإنسان بنعمة العقل، وحثَّه على التفكر فيما يستطيع التفكر فيه، وهو التفكر في الأمور التي يراها بعينه، ويسمعها بإذنه، أو يذوقها بلسانه، أو يلمسها - أي: ما يتصل بالحواس الخمس -. فَنَظَرَ في الطبيعة بسمائها وأرضها وشمسها وقمرها ونجومها، وفي الإنسان من حين نشأته الى مماته، وفي اختلاف المطعومات في طعمها، والملموسات في نعومتها وغِلَظِها، والمشمومات بأنواعها، والمسموعات بأجناسها؛ فمَن تَفَكَّر وَجَدَ أن جميعها حادثة مخلوقة، بدليل أنها تتغير من عدم الى وجود، ومن وجود إلى عدم، ومن صفة الى صفة، ويجد يقينًا أنها محتاجة مفتقرة إلى غيرها، ويجد أن هذه الحادثات لها أشكال بديعة في الإتقان، ويجد أنها تكون بأوزانٍ ونِسَبٍ مخصصة، وأنها مسخَّرة تجري على نَسَق منتظم.

فأُخِذ من ذلك القواعدُ التالية:

القاعدة الأولى: أن التغير يدل قطعًا على الحدوث، فكل متغير حادث.

القاعدة الثانية: أن التغير يدل على النقص والافتقار؛ لأنه إما أن يكون التغير من نقص إلى كمال أومن كمال إلى نقص، فهو على كلا الاحتمالين يكون حادثًا.

القاعدة الثالثة: أن كل من اتصف بصفة حادثة فذاته حادثة قطعًا.

القاعدة الرابعة: أن الحدوث والتغير يدل على الافتقار إلى الغير في الإيجاد

والإمداد.

القاعدة الخامسة: أن الفاعل للحادثات لابد أن يكون مخالفاً لها في جميع ذواتها وصفاتها. فلو اتصف بصفة من صفات المخلوقات فهو أيضاً يكون حادثاً مخلوقاً.

القاعدة السادسة: أن هذا الشيء الفاعل الذي ليس بحادثٍ لا بد أن يكون واحدًا فقط، لا شريك له ولا معاون؛ لأن الشراكة والمعاونة تدل على الاحتياج للغير، وهذا وصف الحوادث.

القاعدة السابعة: أن هذا القديم لا بد أن يكون متَّصِفًا بصفة القدرة والإرادة والعلم والحياة.

القاعدة الثامنة: أنه دائمٌ باقٍ بذاته وصفاته، فلا ينعدم ولا يفنى، فكل ما ثبت قِدَمُه فيستحيل عَدَمُه.

النتيجة الثانية:أنها تواترت الأخبار القطعية أنَّ هذا الشيء الواجبَ الوجودِ الذي يَفتقِر إليه كلُّ حادثٍ هو الله ــعز وجلــ، المتصفُ بصفات الكمال، المنزَّهُ عن صفات النقص؛ فآمنَّا به يقينًا لا شك فيه، فنسأل الله الثبات على الحق في جميع العوالم.

القسم الثاني: الصفات السلبية

وهي الصفات التي دلت على نفي ضدِّ معناها مما لا يليق بالله تعالى.

فمعنى السلبية: أي التي تنفي أو تسلب ضدها من المعاني الباطلة المستحيلة.

مثاله: صفة القِدَم تنفي ضدها، وهو الحدوث.

أحكام هذه الصفات:

أولًا: أن الصفات السلبية أصولها خمسُ صفات، وليس معنى هذا أنها محصورة في هذا العدد؛ بل لا حصر لها، ولكنَّ كلَّ المعاني الباطلة - كنفي الصاحبة والولد والمعين.. وما لا نهاية له -؛ كلها ترجعُ إلى هذه الصفات الخمس، ولو بدلالة الالتزام.

ثانيًا: أنها صفات واجبة لله تعالى، قديمةٌ قِدمَ ذات الله تعالى.

والصفات السلبية هي: القِدم، والبقاء، ومخالفة الله تعالى للحوادث، وغِناه عن الذات والمخصِّص، وصفة الوحدانية. فذاته وصفاته تتصف بالقدم، والبقاء والمخالفة للحوادث، والوحدانية، والغنى عن المخصص، وغنى الذات عن ذات تقوم بها لأنها ليست بصفة، وأما صفات المعاني فتقوم بالذات فلا يمكن اعتقاد انفصالها عن الذات. وهذا إيجاز لهذا الباب وأما التفصيل فكالتالي:

الصفة الأولى: صفة القِدم

الله عز وجل قديم بلا ابتداءٍ في الوجود، أي أنَّ وجودَه قديم لم يُسبق بعدم.

والقِدم نوعان: النوع الأول: قِدم خاص بالخالق، ويسمى قِدَمًا ذاتيًّا،

ومعناه: أنه لم يسبق وجوده عدم.

النوع الثاني: قِدم خاص بالمخلوق: وهو القِدم الزمني، والقِدم الإضافي.

فالقِدم الزمني مثلَ قوله تعالى: ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (١)، فالعرجونُ قديمٌ بالزمن. والقِدم الإضافي: كقِدَم الأب بالنسبة للابن.

ومن الأدلة على قِدم الله تعالى قولُه تعالى: ﴿ هو الأول ﴾ (٢). ومن السنة حديث: « **كان الله، ولم يكن شيء معه** »، وفي لفظ: « **كان الله، ولم يكن شيءٌ غيره** » (٣)، وحديث: « **أنت الأول؛ فليس قبلك شيء** » (٤).

وأجمعت الأمة أن الله تعالى قديم بلا ابتداء، نقل الإجماعَ على ذلك الحافظُ ابن القطان في كتابه الإقناع في مسائل الإجماع (٥)، ونقله الإمام الزبيدي في شرح كتاب الإحياء (٦)، وغيرهما من العلماء.

ومن العقل: أنه لو لم يكن قديمًا؛ لكان حادثًا، وقد تبين استحالة ذلك سابقًا.

---

(١) سورة يس ، آية رقم ٣٩ .
(٢) سورة الحديد ، آية رقم ٣ .
(٣) (صحيح البخاري) كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في قول الله تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق وهو يعيده وهو أهون عليه) ١٠٥/٤ حديث رقم ٣١٩١ .
(٤) (صحيح مسلم) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٤/٤ حديث رقم ٢٧١٣ .
(٥) (الإقناع في مسائل الإجماع) لأبي الحسن ابن القطان ، ط الفاروق الحديثة ، ٣٧/٢ .
(٦) (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين) لمرتضى الزبيدي ، ط مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠/٢ .

الصفة الثانية: صفة البقاء:

وهو انتفاء العدم اللاحق لوجود الذات والصفات، فهو أول بلا بداية، وآخر بلا نهاية.

ومن الأدلة على ذلك قولُه تعالى: ﴿ هو الأول والآخر ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ (٣).

ومن السنة: « **وأنت الآخر؛ فليس بعدك شيء** » (٤). وأجمعت الأمة على وصف الله تعالى بالبقاء.

وعقلًا: أن من ثبت قدمه استحال عدمه.

الصفة الثالثة: مخالفته للحوادث:

أي: لا يشبهه تعالى شيء من الحوادث. فليست ذات المخلوق كذات الله تعالى، ولا صفاته كصفات الله تعالى، ولا أفعاله كأفعال الله تعالى.

أمثلة للإيضاح: المخلوقات التي نشاهدها أو يمكن للذهن أن يتصورها هي: إما أن تكون أجرامًا – وهي الأجسام والذرات، أو أعراضًا تَتَّصِف بها هذه الأجرام، فإذن؛ يجب أن نجزم أن الله تعالى ليس بجِرْم ولا عَرَض، ومن المحال أن يتصف بأي صفة من صفات المخلوقات.

ونحن نؤمن أنّ وجود المخلوقات مرتبط بأمكنة وبأزمنة وُجدت فيها، والله تعالى

---

(١) سورة الحديد ، آية رقم ٣ .
(٢) سورة القصص ، آية رقم ٨٨ .
(٣) سورة الرحمن ، آية رقم ٢٧ .
(٤) (صحيح مسلم) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٤/٤ حديث رقم ٢٧١٣ .

لا يشبه المخلوقات، فإذن؛ ليس وجودُه في مكان؛ لأنه عز وجل هو خالق المكان والزمان، فليس في عَرْش ولا سماء ولا أرض، بل هو موجود قبل خلق هذه الأمكنة، ولا يتغير بعد أن خلقها، ولذا؛ فهو منزه عن الحلول في الأمكنة.

والمخلوقات لا تكون إلا في جهة من الجهات السِّت، فتكون في جهة فوق أو تحت أو يمين أو شمال أو أمام أو خلْف، والله ليس في جهة؛ لأنه لا يشبه المخلوقات.

والمخلوقات تَحْدُث لها أعراض وتغيرات، فهي إما ساكنة أو متحركة، وممتدة أو محدودة، والله عز وجل منزه عن التغيرات والأعراض والحدود؛ لأنه لا يشبه المخلوقات. وكل من يظن أن الله يتصف بالحلول في مكان أو جهة، أو أن وجوده مرتبط بزمان؛ فهو بسبب قياسه للخالق عز وجل على المخلوق؛ لأنه لم يشاهد المخلوقات إلا في جهات وأمكنة، ولها زمان يبدأ وجودُها فيه، فظن أن الله عز وجل يشبه المخلوقات في ذلك، وغفل عن قوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [(١)].

وكذلك أفعاله تعالى لا تشبهها أفعال المخلوقات، فأفعال المخلوق كسب واختيار فقط، أما أفعال الله تعالى فهي إيجاد وخلق، فالمخلوق لا يخلق أيَّ شيء، كما قال تعالى: ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [(٢)]، أي: خلقكم وخلق أعمالكم.

---

(١) سورة الشورى ، آية رقم ١١ .
(٢) سورة الصافات ، آية رقم ٩٦ .

من الأدلة على مخالفته تعالى للحوادث قولُه تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾، [1]، وقوله تعالى: ﴿ ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ [2].

وأجمعت الأمة أن الله تعالى ليس له شبيه ولا ند. ومن العقل: أن الله تعالى لو أشبه شيئًا من المخلوقات؛ لكان حادثًا مثلها – سبحانه وتعالى –، وقد تبين سابقًا استحالةُ أن يكون حادثًا – عز وجل –، إذن؛ فكلُّ ما نراه من ذوات المخلوقات وصفاتها، وكلُّ ما يمكن أن يخطر بذهن المخلوق؛ فالله بخلاف ذلك.

الصفة الرابعة: قيامه بنفسه:

قال الله تعالى: ﴿ وهو الغني الحميد ﴾ [3].

وفي إثبات هذه الصفة نفيُ شيئينِ مضادَّين لها: –

الشيء الأول: أن الله تعالى ليس بصفة، بل هو ذات متصف بالصفات؛ لأن الصفات إن كانت حادثة؛ فهي مفتقرة إلى ذاتٍ تكون محلًّا لها.

مثاله: قدرة الإنسان مفتقرةٌ إلى محلٍّ تقوم به، وهو ذات الإنسان.

وأما إن كانت صفةً قديمةً غير حادثة – وهي صفات الله عز وجل –؛ فلا بد أن تكون ملازمة لذاته تعالى. فالله تعالى ذاتٌ وليس بصفة.

تنبيه: لا يجوز أن نقول: صفات الله تفتقر لذاته؛ لأنه لا يصح إطلاق لفظ الافتقار، ويستحيل معناه على الله تعالى وصفاته، **كما لا يصح إطلاق لفظ**

---

(١) سورة الشورى ، آية رقم ١١ .
(٢) سورة الإخلاص ، آية رقم ٤ .
(٣) سورة الفرقان ، آية رقم ١٥ .

المحل على ذات الله تعالى - كما أفاده الشيخ الشمس الأنبابي رحمه الله تعالى في تقريراته على حاشية الإمام الباجوري على متن السنوسية -. (١)

الشيء الثاني: نفي المخصِّص له، أي: أن الله تعالى لا يحتاج إلى فاعلٍ يخصِّصه بشيء؛ لأنه لو احتاج لشيء لكان حادثًا - سبحانه وتعالى -. فالله تعالى ليس بصفة، ولا يحتاج لمخصص.

ويلزم من نفيِ ذلك نفيُ كل افتقار إلى شيء، فليس الله عز وجل محتاجًا للوالد ولا للولد، ولا الصاحبة ولا المعين، وغير ذلك.

من الأدلة على ذلك:

الدليل على أنه غنيٌّ عن المخصص:أنّ من افتقر لشيء فهو حادث، أما القديم فغني عن كل شيء، وكل شيء سواه فقيرٌ إليه.

والدليل على أنه ليس بصفة: أنه لو كان صفة لما اتصف بصفات المعاني، لأن صفات المعاني ملازِمةٌ للذات الإلهية ملازَمةَ الصفة للموصوف، ولا يمكن أن تنفصل عن الذات، وليست هي عينَ الذات، ولا منفصلةً عن الذات المقدسة، فالله تعالى ذاتٌ متصفٌ بالصفات، قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ " (٢) وأجمعت الأمة على أن الله تعالى غني عن كل شيء.

تنبيه: ثبت إطلاق كلمة « النفس » على الذات، فيصح إطلاقها ولو من غير مشاكلة، كما قال تعالى: ﴿كتب على نفسه الرحمة ﴾ (٣)، يعني على ذاته.

---

(١) ص١٨ط دار احياء الكتب العربية شعبان سنة ١٣٤٧هجرية.
(٢) سورة العنكبوت ، آية رقم ٦ .
(٣) سورة الأنعام ، آية رقم ١٢ .

ووردت بمشاكلة، أي: بمقابلة لفظ لِلَفظ، كما قال تعالى حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ (١).

الصفة الخامسة: الوحدانية:

قال الله تعالى: ﴿ قل هو الله أحد ﴾، وقال تعالى: ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ (٢)، فنثبت لله تعالى صفة الوحدانية، وهي: أحدِيَّة الذات والصفات والأفعال.

فوحدانية الذات تنفي شيئين:

الشيء الأول: تنفي تركُّبَ ذاتِه سبحانَه من أجزاء؛ فهذا محال.

الشيء الثاني: تنفي أن يكون هناك ذات أخرى قديمة غير ذات مولانا عز وجل.

وأحدية الصفات تنفي شيئين:

الشيء الأول: تنفي اتصاف الله تعالى بصفتين من نوع واحد؛ فلا يتصف بقدرتين؛ بل قدرتُه واحدة، ولا بعلمين؛ بل علمه واحد، وهكذا جميع الصفات واحدة. والتعدد في المتعلَّقات لا في نفس الصفة.

مثال: صفة القدرة واحدة، ولكن متعلَّقاتها متعددة، فله قدرة على الخلق والإعدام، والإحياءِ والإماتة، ونحو ذلك من متعلَّقاتِ صفة القدرة.

الشيء الثاني: أن أحدية الصفات تنفي أيضًا وجود صفةٍ لغير الله تعالى تشبه

(١) سورة المائدة ، آية رقم ١١٦ .
(٢) سورة البقرة ، آية رقم ١٦٣ .

شيئًا من صفاته.

وأحدية الأفعال: تنفي وجود شريكٍ أو معاونٍ لله تعالى في أفعاله، وتنفي وجود فاعلٍ مستقلٍّ يفعل كفعل الله تعالى؛ فلا يوجد لغير الله تعالى فعلٌ من الأفعال على وجه الإيجاد، وإنما يُنسَب الفعل للمخلوق بمعنى الكسب والاختيار فقط، لا بمعنى الإيجاد.

أدلة الوحدانية: سبق ذكر آيتين، ومن الأدلة العقلية: أنه لو كان هناك أكثر من إله للعالم؛ لفسد العالم، لأنه سيقع التنازع بينهما، لأنه لا يقع اتفاق إلا مع احتياج أحدهما للآخر وعدم قدرته على الاستقلال بالأمر وهذا يدل على أنهما غير إلهين. اما إن قهر أحدهما الآخر؛ فهو الإله، والآخر ليس بإله. قال الله تعالى: "لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا" وقال تعالى في سورة المؤمنون: "وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون "،وفي سورة الإخلاص قال الله تعالى: "قل هو الله أحد *الله الصمد *لم يلد ولم يولد*ولم يكن له كفوا أحد" فقد نفت هذه السورة أنواع الكفر الثمانية كما قال الإمام الباجوري: "الله أحد" يستفاد منها نفي التركيب عن ذاته وصفاته_ عز وجل _ ونفي تعدد الألهة. "الله الصمد": الصمد: هو المقصود في الحوائج وهذا نفي للإحتياج فهو لا يحتاج لأي شيء، بل هو الغني عن كل شيء.

وينفي النقص لأن الله تعالى له الغنى والكمال المطلق. وقوله: " لم يلد ولم يولد " يستفاد من هذه الآية نفي أن يكون العالم متولد عن الله تعالى تولد المعلول من

العلة كما يقول الفلاسفة، حيث قالوا أن وجود العالم ملازم لوجود الله؛ صادر عن الله تعالى بدون إرادة الله تعالى كما يتحرك الخاتم عند حركة الأصبع.وهذا من الكفر الواضح. ويستفاد من الآية أيضا نفي أن يكون لله _سبحانه _ ولد كما يقول النصارى وغيرهم. ونفي أن يكون سبحانه متولد من شيء، بل هو خالق للعالم غني عن كل شيء.

وقوله: "ولم يكن له كفوا أحد"نفي للشبيه والنظير وهو كما قال تعالى: "ليس كمثله شيء"

قال الله تعالى:"وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا "[1]

[1] الإسراء آية ١١١

مسألة الأسباب:

إذا علمنا أن أهل السنة يؤمنون بأن الله تعالى هو خالق كل شيء، وأنه لا فعل في الكون إلا وهو خالقه وحده لا شريك؛ فيتفرع عن هذه العقيدة القرآنية مسألة: هل الأسباب لها تأثير في إيجاد النتائج؟

علماء المسلمين والفلاسفة يتكلمون عن تأثير الأسباب في مسبابتها.

ومعناه: هل الأسباب تخلق النتائج عند الارتباط بين الأسباب؟

وما هو نوع الربط بين الأسباب والنتائج؟ هل هو عقلي فتكون النتيجة حتمية؟ أم هو ربط عادي يمكن أن ترتبط الأسباب ثم لا تحصل النتيجة؟

فإذن مصطلح التأثير في علم العقيدة هو: الخلق والإيجاد، فهذا هو معنى التأثير الذي يثبته الفلاسفة والمعتزلة، وينفيه أهل السنة والجماعة.

فأهل السنة يؤمنون بأن الله تعالى أجرى العادة أن يخلق النتائج عند الارتباط بين الأسباب، ويؤمنون أن الله تعالى لا يستعين بأي شيء، فلا يستعين بالنار على خلق الإحراق، ولا بالماء على خلق الري، وهكذا في جميع الأشياء، ولكن جرت العادة أن الله جعل أسباباً مرتبطة ببعضها، يوجِدُ الله عند ارتباطها ما يريد من نتائج.

وأما ورود النصوص الشرعية التي فيها الباء، فهي بمعنى إقتران السببية، وليست بمعنى الاستعانة.

فقوله تعالى: "وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض.. "ليس المعنى أن الله تعالى استعان بالماء على إحياء الأرض، سبحانه وتعالى عن ذلك، بل

هي بمعنى الإقتران بين الماء والنبات كسبب فقط، أما الخالق فهو الله تعالى وحده، بلا معاون، ولا شريك له. فالمخلوق لضعفه يستعين بغيره، أما مولانا ــعز وجلــ فلا يستعين بشيء، لأنه غني عن كل شيء.

ثمرة عقيدة أهل السنة:

أولاً: أن الله خالق كل شيء وليست الأسباب.

ثانياً: أن الإرتباط بين الأسباب والمسببات ليس بحتمي لازم، بل هو ربط عادي جائز، ولو شاء الله أن يخلق بدون أسباب لفعل، وإذا شاء اقترنت الأسباب ولم تحصل النتائج، كما في كثير من المعجزات والكرامات الخوارق للعادات، كقصة سيدنا إبراهيم ــعليه السلام ــحين وضع في النار ولم تحرقه، وقصة حمل السيدة مريم بلا زوج، وغيرها من خوارق العادات.

والناس في مسألة الأسباب على أصناف خمسة:

الصنف الأول: أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة: وكلهم يؤمنون بأن الربط بين السبب والمسبب ربط عادي يمكن أن يتخلف، وأن الخالق للأثر والنتيجة هو الله تعالى، حيث خلق الأثر عند الإقتران بين السبب والمسبب، وليس استعانة بالسبب كما يظن بعض المنحرفين.

ولذا يقولون: يخلق عندها لا بها، أي ليس مستعيناً بها، وإنما أجرى العادة أن يخلق عند الإقتران بين الأسباب.

الصنف الثاني: من الناس من يقول أن الربط عقلي لا يمكن أن يتخلف، وأن المؤثر أي الخالق هو الأسباب وليس الله تعالى، وهؤلاء هم الفلاسفة. وهم

كفار.

الصنف الثالث: المبتدعة من المعتزلة ونحوهم، وهم من يقول: أن الربط بينها عادي، ولكن الخالق للنتيجة هي الأسباب بقوة أودعها الله تعالى فيها. وهؤلاء مبتدعة ضلال، ولكنهم غير كفار عند جمهور أهل السنة، لأنهم لا يدّعون أن السبب شريك لله تعالى في ذلك، ولا أنه مستقل عن الله تعالى.

الصنف الرابع: من يقول أن الربط عقلي، والخالق هو الله تعالى وحده. وهؤلاء غير كفرة ولا مبتدعة ولكن قولهم جهل، لأن الربط العقلي لا يتخلف، فقد يؤدي قولهم إلى إنكار المعجزات، والكرامات.

الصنف الخامس: وهو بدعة أيضا: وهو قول بعض المبتدعة في زماننا: وأصحاب هذا القول يثبتون تأثير الأسباب في المسببات بالقوى والطبائع الموجودة في المخلوقات، وجعلوا لها تأثيرًا لفظًا، ومعناً، فالخلق يتم في بعض صوره بوسائط هي قوى أودعها الله في مخلوقاته، فهو يخلق الأسباب ببعضها، وينكرون الربط العادي الذي ذكره أهل السنة. وهذا القول مغالطة وسفسطة، لأنهم لا يفهمون معنى التأثير عند أهل هذا العلم، حيث أن معناه الخلق. ولا يفهمون الأحكام المترتبة على إنكارهم، فهم ينكرون الربط العادي ثم يثتبون الكرامات والمعجزات، ويثبتون الربط العقلي، ثم يزعمون أنه يمكن أن يتخلف، ويثبتون تأثير الأسباب، والطبيعة كفاعلة بقوة كامنة فيها، فإذا قامت الأسباب وانتفت الموانع حصلت النتائج، ثم يقولون وليست بخالقة لتلك النتائج،! رغم أن من له صلة حقيقة بعلم العقيدة يعلم أن المقصود بالفعل هو إيجاد الأثر من

العدم إلى الوجود، وهذا هو نفسه معنى الخلق، فإذا كانت الطبائع توجد بالقوى الكامنة فيها فإذن هي خالقة لذلك.

فلم يبق لهم إلا إنكار اللفظ فقط. ولذا فهو معتقد باطل بلا شك. وهو معتقد مليء بالمغالطات فمن يعلم أن الربط العادي هو إمكانية تخلف الأثر عن السبب، وأن التأثير الذي يتكلم عنه المسلمون والفلاسفة معناه الخلق والإيجاد، ثم ينكر بعد ذلك على أهل السنة فهو معاند مبتدع.

القسم الثالث: صفات المعاني: وتسمى الصفات الذاتية لأنها ملازمة لذات الله تعالى.

تعريف صفات المعاني: هي صفات موجودة ثابتة ملازمة لذات الله تعالى يلزم منها ثبوت أحكامها.

ومعنى ثبوت أحكامها:

أي ثبوت الصفات المعنوية وهي كونه قادراً، وكونه عليماً، وكونه مريداً وكونه حياً، وكونه متكلماً، وكونه سميعاً، وكونه بصيراً، كما يأتي في بيان الصفات المعنوية في القسم الرابع إن شاء الله تعالى.

الفرق بين الصفات والأعراض:

صفات المعاني في المخلوق هي مجرد أعراض حادثة يتصف بها المخلوق، فعلم المخلوق، وقوته، وضعفه وحياته، ونحوها تسمى صفات معاني، ولكنها مجرد أعراض عرضت وتزول، وليست ثابتة، بل هي حادثة ومتغيرة. أما صفات المعاني لله تعالى فهي ليست أعراضاً، بل هي صفات ثابتة ملازمة للذات

الإلهية، قديمة قدم الله تعالى، لا تتغير ولاتتبدل، وليست هي الذات ولا منفصلة عن الذات، بل هي صفات ملازمة لذات الله تعالى.

عدد صفات المعاني:

صفات المعاني لله تعالى لا حصر لها في عدد معيّن، ولكن أصولها التي وردت في النصوص وتؤيدها البراهين العقلية الصحيحة هي سبع صفات، وليست صفات الكمال لله تعالى منحصرة في هذا العدد، ولكن الذي يمكن أن يقطع المسلم بثبوته مما ورد في النصوص الشرعية هي الصفات السبع، لأن غيرها مما ورد فمعناه في لغة العرب يرجع لشيء من هذه الصفات السبع، ولا يستطيع المسلم أن يقطع بأن شيئاً مما ورد يختلف في معناه عن صفة من الصفات السبع، وإنما هو ظن فقط، لا بالقطع، والكلام بالظن في عد صفات الله تعالى مخالف للمطلوب شرعاً في صفات الله وهو القطع وليس الظن، لأن الظن في إثبات الصفات غير معتبر. ولذا أثبت أهل السنة هذه الصفات السبع قطعاً ولم يخالف في ذلك أحد من أهل السنة، وإنما اختلفوا فيما زاد عن السبع، فتمسك الجمهور بالقطع وابتعدوا عن الظن. وكل ماورد في الصفات يرجع في معناه لشيء من هذه الصفات السبع.

أمثلة للإيضاح:

المثال الأول: اسم الله الخبير يشتق منه معنى يدل على وصف الله تعالى بالعلم بالأمور الباطنة، فإذن هو داخل في معنى العلم وليس صفة مستقلة، ولكنه علم خاص فيدخل في المعنى العام لصفة العلم.

المثال الثاني: المهيمن: وهو القائم على خلقه، وذلك باطلاعه عليهم، وقدرته عليهم، وحفظه لهم، فمن تأمل وجد أن المهيمن يرجع من حيث معناه إلى صفتين هما: العلم، والقدرة.

فالهيمنة تندرج في معناها تحت صفة العلم من حيث الاطلاع على جميع خلقه، وتحت صفة القدرة من حيث أنهم تحت تصريفه وقهره.

المثال الثالث: الرقيب: "إن الله كان عليكم رقيبا" أي يعلم بأعمالهم، فإذن هو من حيث معناه لغة نوع من العلم، فيندرج في المعنى العام لصفة العلم.

المثال الرابع: الخالق والمصور: فمعنى الخلق من حيث الصفة هو القدرة على الإيجاد.

والتصوير هو نوع من القدرة على الخلق، ولكن بهيئة ووصف مخصوص، فيكون جميلاً، أو غير جميل ويكون بلون معين، ويكون بتقاسيم مخصوصة، وهكذا من أنواع التصوير، فهذه المعاني دخلت تحت صفة القدرة من حيث الإيجاد، وتحت صفة الإرادة من حيث التخصيص. ومهما تأملت في معاني الأسماء الحسنى، وما يشتق منها من صفات؛ تجدها كلها تدخل تحت صفة العلم، أو الإرادة، أو القدرة.. وهكذا.

أقسام صفات المعاني: يمكن تقسيم صفات المعاني من حيث تعلقاتها إلى أربعة أقسام:

ومعنى التعلق:هو استلزام الصفة أمراً زائداً على ملازمتها للذات.

أنواع تعلقات الصفات:

القسم الأول: ليس له أي تعلق بغيره وهي صفة الحياة.

القسم الثاني: صفات التأثير: وهي تتعلق بالممكنات فقط، و لا تتعلق بالمستحيلات، و لا بالواجبات وهي صفة الإرادة، للتخصيص، وصفة القدرة للإيجاد والإعدام.

القسم الثالث: هي ما يتعلق بالموجودات فقط، وهو السمع، والبصر. وتعلقها انكشاف.

القسم الرابع: ما يتعلق بكل شيء، فيتعلق بالمستحيلات، والواجبات، والممكنات وهما صفة العلم وتعلقه تعلق انكشاف دون سبق خفاء، وصفة الكلام وتعلقها تعلق دلالة.

الصفة الأولى من صفات المعاني: صفة القدرة:

قال تعالى:"لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " [١]

القدرةمعناها في اللغة: القوة والاستطاعة.

واصطلاحاً: هي صفة أزلية ملازمة لذات الله تعالى يمكن بها إيجاد كل ممكن

[١] المائدة آية ١٢٠

وإعدامه إذا أراد الله تعالى.

وهذا التعريف ليس بالحد بل بالرسم، لأن التعريف بالحد مستحيل في صفات الله تعالى، لأنه لا يعلم كنه صفاته، وذاته إلا هو جل جلاله، ولذا فالعلماء يعرفونها بآثار الصفة فقط، وهذا يسمى التعريف بالرسم وهو تعريف الشيء بآثاره.

تعلقات القدرة الإلهية: للقدرة تعلقان:

التعلق الأول: تعلق قديم لا بداية له، وهو أن لله قدرة يستطيع بها إيجاد كل ممكن وإعدامه.

التعلق الثاني: تعلق حادث: وهو تنجيز ما أراده الله_عز وجل _ بالفعل.

مثال: اتصاف الله تعالى بالقدرة على أن يبعث الموتى من قبورهم؛ فهذا يسمى تعلق صلوحي قديم، فإذا بعثهم بالفعل يوم القيامة؛ فهذا يُسمى تنجيزي حادث، لأنه يحدث يوم القيامة.

إذن تعلق القدرة القديم هو: الاستطاعة على فعل كل ممكن، وتعلقها الحادث هو: أن يفعل بقدرته ما علم، و أراد أزلاً أن يفعله عز وجل.

من الأدلة على صفة القدرة: قال الله تعالى: "**وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**" [١]. وقال الله تعالى: " أولم يروا أن اللّه الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادرعلى أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شي قدير " [٢] وقال

(١) الشورى آية ٢٩
(٢) الاحقاف اية ٣٣

الله تعالى "وما كان اللّه ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً". [١] اما الدليل العقلي، فلأنه لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً، ويستحيل عليه العجز سبحانه وتعالى.

تنبيهات:

التنبيه الأول: قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيلات، و لا بالواجبات، فلا تتعلق بأن يكون لله تعالى ولد أو صاحبة، أو أن يكون الله ـ سبحانه ـ في مكان كالعرش، أو غيره من الأمكنة، لأن قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيلات، و لا بالواجبات. و لا يلزم من عدم تعلق القدرة بالمستحيلات، والواجبات تعجيز لقدرة الله تعالى، لأن القدرة أصلاً لا تتعلق بالمستحيلات، و لا بالواجبات؛ و إلا للزم أن ينقلب الواجب ممكناً، والمستحيل ممكناً والعياذ بالله تعالى. وإنما تعلقها بالممكنات فقط.

ولايقال:لا يقدر الله تعالى على المستحيل، بل نقول: لا تتعلق القدرة أصلاً بذلك. ومن الجهالة العظيمة قول بعض المبتدعة: أن الله سبحانه يقدر أن يكون له ولد لوشاء.! وقول بعضهم: أن الله لو شاء استوى على جناح بعوضة واستقلت به. يعني طارت به البعوضة،سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون.

التنبيه الثاني: إسناد التأثير لصفة القدرة لأنها سبب فقط. وإنما المؤثر حقيقة هو الله تعالى، أي أن الذي يخلق ويفني هو الله ـ عزّ وجّل ـ وحده. ويحرم قول أن القدرة فاعلة، لأنه يوهم أنها مستقلة بالأفعال عن الله تعالى، فإن قصد أنها

---

(١) فاطر آية ٤٤

مستقلة عن الله تعالى فهذا كفر والعياذ بالله.

الصفة الثانية من صفات المعاني: هي الإرادة: والإرادة هي بمعنى المشيئة.وهي صفة قديمة ملازمة للذات، يخصص الله بها الممكن ببعض ما يجوز عليه على وفق علم الله تعالى. فالله جل جلاله يخصص الأشياء الممكنة بشيء من أمرين متقابلين كما يريد عز وجل. فمن هنا ثبت أن لله تعالى صفة الإرادة.

مثال: الوجود أو العدم شيئان متقابلان، فإما أن يكون الشيء موجوداً يوجده الله تعالى أو معدوماً، فاختيار أحد هذين الأمرين هو بمشيئة الله، يعني بإرادته عز وجل. وقد يوجده في وقت الليل، أو في النهار كما يريد جل جلاله. ويوجده بصفة دون صفة تقابلها، فيكون اما بلون أسود أو أبيض. ويوجده في جهة دون جهة، فيكون بالمشرق أو المغرب. وقد يوجده في مكان دون مكان فيوجده في مكة المكرمة، وليس في القدس الشريف. ويكون بمقدار دون مقدار آخر، فيكون طويلاً وليس قصيراً. فتخصيصه بأحد هذه المتقابلات الستة دل على أن لله تعالى صفة إرادة تخصص الممكن ببعض الشيئين المتقابلين.

تعلقات الإرادة: للإرادة تعلقان: وكلاهما قديم قدم ذات الله تعالى.

التعلق الأول: صلوحي قديم: وهو صلاحيتها في الأزل للتخصيص، فالإرادة توصف بالتخصيص.

التعلق الثاني: تعلق تنجيزي قديم: وهو تخصيص الشيء أزلاً بالصفات التي يعلم الله أنه يكون عليها عند إيجاده. فهذا التخصيص ناجز حقيقة وليس بحادث. فكل ما كان في علم الله أنه سيحصل فقد أراده الله تعالى وسيقع

يقيناً.

والإرادة –كالقدرة– لا تتعلق بالواجب، ولا بالمستحيل، ولكنها تتعلق بالممكن الذي يشمل الخير والشر، والنفع والضر.

هل يقع شيء بغير مشيئة الله؟ لا يقع شيء إلا بإرادة الله تعالى، فلا مكره له ـعز جل ـوإرادة الله تقع لا محالة. فإيمان سيدنا عمر رضي الله عنه كان بمشيئة الله تعالى، وكفر أبي جهل كان بمشيئة الله فما شاء كان وما لم يشأ لا يكون، ولكن الله تعالى نهى عن الكفر والمعاصي و لا يرضاها، وأمر بالطاعات ويحبها ويرضاها، **فالإرادة تختلف عن الأمر، والرضا، فلاشك أنه لا يجري شيء في ملكه بدون مشيئته، ولكنه قد يكون شيئاً يرضاه ويأمر به كالطاعات، وقد يكون شيئاً لا يرضاه ولا يأمر به. فكل شيء شاءه وأراده الله تعالى فلا بد أن يقع.**

من أدلة الإرادة: قول الله تعالى: "وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ" (١) مَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ " (٢)

وقوله تعالى: . "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" (٣) وهذا حصل بالفعل.

(١) الرعد اية ١١
(٢) الأنعام آية ١٢٥
(٣) البقرةآية ١٨٥

وقول الله تعالى: "وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ". (١) فمن تاب تاب الله عليه.

وقوله تعالى: " مايُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ" (٢)

فلا يوجد حرج والتطهير حاصل بالاتباع، وقال تعالى: "ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد"وقال تعالى: "وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" وقال تعالى: " وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ " (٣)

ولكن الله كريم جواد وعد بالخير المضاعف للمؤمنين، فقال الله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا"٤

وقال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) " ٥وقال تعالى: " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذا لأتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً " وقال تعالى: "**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** "٦وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً

---

(١) النساء آية ٢٧
(٢) المائدة آية ٦
(٣) الأنعام آية ١١١
٤)النساء آية ١٢٢
(٥)لقمان آية ٨_٩
(٦) النحل ٩٧

يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا"[١]

الصفة الثالثة من صفات المعاني: صفة العلم:

قال تعالى: "وسع كل شيء علما " وقال تعالى: "وهو بكل شيء عليم" وقال تعالى: "عالم الغيب والشهادة" والعلم هو: صفة أزلية متعلق بجميع الواجبات، والجائزات، والمستحيلات على وجه الإحاطة من غير سبق خفاء.

نوع تعلق العلم وبما يتعلق:

الصحيح عند أهل السنة أن له تعلقاً واحداً فقط، وهو تعلق تنجيزي قديم. فيعلم الأشياء أزلاً إجمالاً وتفصيلاً، ويعلم الكليات والجزئيات. وهو يتعلق بكل شيء: فيتعلق بالواجبات، والمستحيلات، والجائزات. معنى تعلقه بذلك: تعلقه بالواجبات: أي أن الله تعالى يعلم ذاته، وصفاته _عز وجل_.

ويعلم المستحيلات التي يستحيل وجودها: فيعلم أنه يستحيل وجود شريك له في أي شيء، ويعلم أنه يستحيل أن يكون له _سبحانه _صاحبة، أو ولد، أو شبيه، أو مكان يحل فيه، أو غيرها من الممتنعات عقلاً وشرعاً.

ويعلم الممكنات: كلها بكلياتها وتفصيلاتها لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما كان وما سيكون وما يستحيل أن يكون.

تنبيه: علم الله تعالى حضوري غير مكتسب، ولا متجدد، ولا متغير، فهو ثابت لا يتغير، و لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يقال: علمه مكتسب، أو علمه ضروري، أو نظري، أو بديهي، لأن كل هذه الأنواع سبقها خفاء ثم حصلت،

(١) النساء آية ٤٠

أما علم الله تعالى فحضوري لم يسبق بخفاء.

حكم إنكار علم الله:

من أنكر علم الله بشيء من الأشياء فهو كافر بإجماع المسلمين، وكذلك من زعم أن الله تعالى لا يعلم بعض الأشياء إلا بعد وقوعها فهو كافر، ولذا كفّر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من زعم ذلك. وكفّر المسلمون الفلاسفة الذين قالوا: إن الله لا يعلم الجزئيات، ويعلم الكليات فقط.!!

تنبيه: علم الله تعالى ليس من صفات التأثير، بل هو من صفات الإحاطة والكشف دون سبق خفاء.

الصفة الرابعة: صفة الحياة:

هي صفة أزلية تقتضي صحة الاتصاف بالعلم وغيره من الصفات الواجبة.

الدليل على صفة الحياة: قال الله تعالى: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم"وقال عز جل: " وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً" (١)

ومن العقل: أن كل من اتصف بالعلم، والقدرة، والإرادة، فهو حي قطعاً.

وصفة الحياة هي الصفة التي ليس لها أي تعلق.

الصفة الخامسة صفة الكلام: قال الله تعالى "وكلم الله موسى تكليما"

التعريف: كلام الله تعالى له معنيان:

المعنى الأول: هو الصفة: فكلام الله ـ تعالى ـ صفة، أزلية، ملازمة لذات الله

---

(١) الفرقان آيه ٥٨

تعالى، كسائر صفاته الأزلية. فليس ككلام المخلوق، فكلام المخلوق بحرف وصوت، وكلام الله تعالى لا يشبه كلام المخلوق فليس بحرف، و لا صوت، وليس فيه تقديم، و لا تأخير، و لا سكوت، و لا غيرها من صفات المخلوق. ويسمى هذا الكلام: الكلام الذاتي أو الكلام النفسي أي إضافة الكلام إلى نفسه أي ذاته، لكن أهل الحق يعبرون بالنفس لورودها في القرآن الكريم، فهذا معنى النفسي. فمن سلم من قياس صفات الله على صفات المخلوق؛ فسيسهل عليه فهم سبب تنزيه كلام الله عن كل ما يشاهده في المخلوق.

الثاني: الكلام اللفظي: وهو الكلام الموجود في المصحف الشريف وكذلك في الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين. فهو كلام الله حقيقة، ولكن لا يعني أن صفة الكلام انفصلت عن ذات الله سبحانه وحلت في الورق، و الألواح وكتبت بالحبر على الورق، تعالى الله عن ذلك، بل المقصود أنه دال على صفة الكلام الملازمة لذاته عز وجل.

فائدة: قال تعالى "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" [١]وهذا القول يعم كل لفظ يتكلم به الإنسان من خير وشر وأعظم الخير قراءة القرآن الكريم. وبهذا تعلم صحة إطلاق مصطلح الكلام اللفظي وأنه مستند لدليل.

الفرق بين صفة الكلام، والكلام اللفظي المنزل:

الفرق هو أن صفة الكلام صفة ملازمة لذات الله تعالى، نعتقد فيها ما نعتقده في صفات الله من حيث قدمها، وبقاؤها، وتنزيهها عن صفات المخلوقين،

---

(١) سورة ق آية ١٨

ولاينفد بل هو دائم باق.

اما الكلام اللفظي: فليس بصفة من صفات الله الملازمة لذاته، لأن الصفة لا تنفصل عن الموصوف، بل أظهره الله مكتوباً في اللوح المحفوظ، ثم تدرج في إنزاله حتى كتب في المصاحف، وله بداية من أول آية في القرآن الكريم وله نهاية بآخر آية، وهو مكتوب بحروف عربية.

الأدلة على الكلام:

سأذكر الأدلة على صفة الكلام، ثم أذكر الأدلة على الكلام اللفظي المنزل، إن شاء الله تعالى.

أما صفة الكلام الملازمة لذاته تعالى فيدل عليها الأدلة التالية:

قال الله ــعز وجل ــ: "وكلم الله موسى تكليما" (١) وقال تعالى: "ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه" (٢) وقال عز وجل: "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله " (٣).

وقال تعالى: "يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي" (٤).

وقال الله جل ثناؤه: "قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً "٥.

وقال عز وجل: "ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده

(١) النساء آية ١٦٤
(٢) الأعراف ١٤٣
(٣) البقرة آية ٢٥٣
(٤) الأعراف آية ١٤٤
(٥) الكهف آية ١٠٩

سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله". [١] فتلك من الأدلة التي تدل على نفس كلام الله الذي هو صفة ملازمة لذاته.

الأدلة الدالة على الكلام المنزل:

قال الله تبارك وتعالى: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله" [٢]. أي حتى يسمع القرآن الكريم. وقال تعالى: "يسمعون كلام الله ثم يحرفونه" [٣]، وقال تعالى" وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا " [٤] فدلت هذه الأدلة على تسميته كلام الله.

والكلام المنزل كان موجوداً في أمكنة ثلاثة:

المكان الأولى: جعله الله مكتوباً في اللوح المحفوظ.

المكان الثاني: أُنزل فكان في بيت العزة في السماء الدنيا.

المكان الثالث: وجوده مكتوباً في المصحف بعد نزوله على رسول الله ــ ﷺ ــ

الأدلة على ذلك: قال الله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [٥] وهذا اللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون كما في قوله تعالى "إنه لقرآن كريم* في كتاب مكنون* لا يمسه إلا المطهرون *تنزيل من رب العالمين" [٦] ثم من اللوح المحفوظ نزل إلى السماء الدنيا، وكان هذا النزول في رمضان ليلة القدر، والدليل

(١) لقمان آية ٢٧
(٢) التوبة آية ٦
(٣) البقرة ٥٧
(٤) الكهف آية ٢٧
(٥) البروج آية ٢١_٢٢
(٦)الواقعة آيات ٧٧_٨٠

على هذا النزول قوله تعالى: في أول آية من سورة القدر "إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ"

وقال في سورة البقرة: "شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ"

فنزل جملة واحدة في ليلة القدر _وهي الليلة المباركة _كما في سورة الدخان، في شهر رمضان.

ومن الأدلة ما أخرجه النّسائي والحاكم والبيهقي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة.

وأخرج الحاكم وغيره، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فصل القرآن من الذّكر، فوضع في بيت العزّة من سماء الدّنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: الحافظ في الفتح: وإسناده صحيح.

ثم نزل به سيدنا جبريل عليه السلام من السماء الدنيا الى سيدنا محمد ﷺ قال تعالى "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" (١)

فمن تدبر علم الفرق بين كلام الله تعالى الملازم لذاته _عز وجل _، والكلام المكتوب المنّزل الذي جعله الله في اللوح المحفوظ، ثم في بيت

(١) الشعراء (١٩٢_١٩٥)

العزة ثم، في المصاحف، والصدور، والألواح، وغيرهامن الأماكن الطاهرة.

دلالات الكلام المنزل:

له دلالتان: الأولى: دلالة التزام: وهي أن الكلام المنزل؛ دليل على أن لله تعالى كلام قديم، ملازم لذاته عز وجل، وهذا معنى قول أهل السنة سلفاً وخلفاً أن القرآن الكريم قديم غير مخلوق.

أما فعل القاريء أي قراءته، وصوته، فلا شك أنها مخلوقة، وكذلك حروف الكتابة، والحبر، والورق كلها مخلوقة بلاشك.

الثانية: دلالة لفظية: وهو أن القرآن الكريم تضمن كلمات تدل على شيء قديم أزلي كقوله تعالى "قل هو الله أحد "فإنها دلت على صفة من صفات الله الأزلية.

وأيضا القرآن الكريم تضمن كلمات مدلولها حادث كقوله تعالى: "خلق السموات والأرض"فإن هذا الفعل وهو إيجاد السموات والأرض حادث، والسموات والأرض حادثة.

تعلقات صفة الكلام:

صفة الكلام تتعلق بجميع الأشياء تعلق دلالة، فتتعلق بالواجبات وهو دلالته على ذات الله تعالى وصفاته. وتدل على نفي المستحيلات كالصاحبة والولد. وتدل على الجائزات.

وله تعلق واحد فقط، وهو تعلق تنجيزي قديم حتى قبل وجود المأمور

والمنهي، فلايشترط وجود المأمور والمنهي على الصحيح وفيه خلاف بين علماء أهل السنة، وهو مسألة اجتهادية.

تنبيه: هل الكلام في اللغة العربية محصور في الكلام اللفظي؟

قال المعتزلة وبعض المجسمة: أن الكلام لا يطلق في اللغة إلا على الكلام الحسي الذي بحرف وصوت ملفوظ كما نراه في الإنسان.

وقال أهل السنة والجماعة: أنه في اللغة على قسمين:

القسم الأول: كلام لفظي بحرف وصوت ولا خلاف فيه.

الثاني: كلام نفسي: وهذا ليس بحرف، و لا صوت، وهو مبدأ الكلام أصلاً، ويدل عليه أدلة كثيرة، ورغم كثرتها تجاهلها المبتدعة من السابقين وخلفهم من المعاصرين.

وهو من الكبر لأن الكبر بطر الحق وغمط الناس. وهذا لايعني أن صفة الكلام النفسي الملازمة لذات الله تشبه كلامنا النفسي حاشا وكلا، وإنما المقصود أن من يزعم أن الكلام في لغة العرب محصور في الحرف والصوت فقط، فقد غلط.

وسأسوق أدلة أهل السنة جزاهم الله خيرا وتأمل في تجاهل المخالف لها.

الأدلة على الكلام النفسي في اللغة كما ذكرها بعض أهل السنة رحمهم الله تعالى:

الدليل الأول: قوله تعالى: "ويقولون في **أنفسهم** لولا يعذبنا الله بما نقول" فالقول كلام، وهو كلام قالوه في أنفسهم لا يعلمه إلا الله الذي فضحهم. وهذا كلام نفسي.

وقَالَ رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني **في نفسه**، ذكرته في نفسي... ". (١)

وحديث جابر رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له، فانطلقت، ثم رجعت وقد قضيتها، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه، فلم يرد علي، فوقع في قلبي ما الله أعلم به، **فقلت في نفسي** لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد علي أني أبطأت عليه.... ". (٢) فقوله قلت في نفسي، دال على الكلام النفسي الذي أفصح به العرب الفصحاء.

وحديث أبي ذر وأصله في الصحيح "فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام – قال – فقلت السلام عليك يا رسول الله. فقال" وعليك ورحمة الله ". ثم قال" من أنت ". قال قلت من غفار – قال – فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته **فقلت في نفسي** كره أن انتميت إلى غفار... ". رواه البخاري ومسلم والبزار واللفظ له (٣)

وقول كعب بن مالك في حديث توبته فأسلم عليه – أي رسول الله ﷺ –وهو في مجلسه بعد الصلاة **فأقول في نفسي** هل حرك شفتيه برد السلام أم لا " (٤)

وحديث عبد الله بن أنيس قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي وبلغه أنه يجمع له وكان بين عرنه وعرفات قال لي: اذهب فاقتله قال قلت يا رسول الله: صفه لي. قال: إذا رأيته أخذتك قشعريرة لا عليك أن

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥(
(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العمل في الصلاة
(٣) مسند البزار حديث رقم ٣٩٤٨
(٤) رواه البخاري رقم الحديث: ٥٨١٢

لا أصف لك منه غير هذا........ انتهيت إليه..... فمشيت معه فقال: من أنت؟ قلت: رجل من العرب بلغني أنك تجمع لهذا الرجل فجئتك في ذاك فقال: إني لفي ذاك. قال: **قلت في نفسي**: ستعلم.... "(١)

فهل يشك عربي _بعد هذه الأدلة كلها_ في انقسام الكلام العربي إلى كلام لفظي كما نسمعه، وكلام في النفس؟!

الصفة السادسة: صفة السمع:

وهو صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، تتعلق بالموجودات، فيسمع كل شيء موجود، من الأصوات، والذوات، دون سبق خفاء.

الصفة السابعة: صفة البصر: وهو صفة أزلية ملازمة لذاته تعالى، تتعلق بجميع الموجودات، فيراها سواء كانت ذواتاً، أو أصواتاً، حتى ولو كانت أصواتاً خفية كدبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة.

تعلقات صفة السمع وصفة البصر: لصفة السمع والبصر ثلاث تعلقات: وهي: الأول: تعلق تنجيزي قديم: وهو التعلق بذات الله وصفاته أي أن الله يسمع ويبصر ذاته وصفاته لأنه يسمع ويبصر كل موجود.

الثاني: تعلق صلوحي قديم: وهو التعلق بالمخلوقات قبل وجودها.

الثالث: تعلق تنجيزي حادث: وهو التعلق بالمخلوقات بعد وجودها.

ويجب أن نعتقد أن الإنكشاف بالسمع؛ يختلف عن الإنكشاف بالبصر، ويختلف كل منهما عن الإنكشاف بالعلم. ولكل منهما حقيقة تخصه، وليس كما

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحة برقم ٩٣٠

نفهمه من صفات المخلوق، فإن بصر المخلوق يفيد بالمشاهدة وضوحاً فوق العلم، وبالسمع كذلك، أما الله ـ عز وجل ـ فليس كذلك، لأن جميع صفاته كاملة يستحيل عليها سبق الخفاء والزيادة، والنقص.

الخلاصة: أن المؤمن يثبت لله تعالى صفة السمع، والبصر، ويعلم يقيناً أنه يختلف عن سمع المخلوق اختلافاً كلياً.قال الإمام الغزالي ـ رضي الله عنه ـ في المقصد الأسنى: ومهما نزهت السمع عن تغيير يعتريه عند حدوث المسموعات، وقدسته عن أن يسمع بأذن، أو آلة، أو أداة؛ علمت أن السمع في حقه عبارة عن صفة يكشف بها...... ومن لم يدقق نظراً فيه وقع بالضرورة في محض التشبيه. فخذ حذرك ودقق فيه نظرك. اهـ [(١)]

وقال أيضاً: وإبصاره أيضاً منزه عن أن يكون بحدقة وأجفان، و مقدس عن أن يرجع إلى انطباع الصور ،والألوان في ذاته –سبحانه – كما ينطبع في حدقة الإنسان، فإن ذلك التأثر، والتغير المقتضي للحدثان. اهـ [(٢)]

فالمؤمن يثبت الصفة، ويعلم أنه إثبات وجود وليس إثبات كيفيات، وتغيرات؛ لأن هذا تشبيه.

الأدلة: قال تعالى "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "

وقال تعالى: "إنني معكما أسمع وأرى" [(٣)] فلا يشغله شيء عن شيء، ولا صوت عن صوت، والسر والعلن عنده سواء. قال تعالى: "سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص١٤٧ط مكتبة القرآن للنشر مصر.
(٢) المقصد الأسنى ص١٤٨
٣ سورة طه آية ٤٦

الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ "[١]

القسم الرابع: الصفات المعنوية:

وهي كونه حياً، وكونه قادراً، وكونه مريداً، وكونه عليماً، وكونه بصيراً، وكونه سميعاً، وكونه متكلماً.

هل الصفات المعنوية صفات حال؟ هذا لايصح عند جمهور أهل السنة من الأشاعرة والماتردية، ولكن قال به بعض علماء أهل السنة وقالوا: هي صفات لها ثبوت، لكن لايصل ثبوتها إلى درجة الموجودات بحيث ترى، ولاينزل إلى درجة المعدوم ،بل هي حال متوسط بين الموجود والمعدوم.

ولكن جمهور أهل السنة والجماعة ينكرون أن تكون واسطة بين الموجود والمعدوم فهي ليست زائدة على صفات المعاني، ولذا يكتفي جمهورهم بذكر صفات المعاني فقط، وإنما المعنوية هي **صفات اعتبارية فقط** وليست صفات حال بين الموجود والمعدوم.

معنى إنكار الصفات المعنوية:

هو إنكار زيادتها على المعاني بحيث تسمى صفات الأحوال، **وليس إنكاراً لكونه حياً مثلاً، أو كونه عليماً، قديراً ، وهكذا بقية الصفات السبع لأنه أمر مجمع عليه ومنكره كافر بالإجماع**. وإنما الخلاف في زيادته على صفات المعاني. والخلاصة أن جميع العلماء يثبتون كونه قادرا وحيا إلخ... ولكن اختلفوا في بيان معنى ذلك.

---

١ الرعد آية ١٠

مثال: كونه قادراً:

القول الأول: من قال بالأحوال من أهل السنة فتكون واسطة بين الموجود والمعدوم لازمة لصفة القدرة.

القول الثاني قول الجمهور: قالوا ليست بصفة حال بل هو أمر اعتباري: فمعنى كونه قادرا هو عبارة عن قيام القدرة بالذات وليس أمراً زائداً على ذلك. فالاعتبار هنا هو: قيام الصفة بالذات،

وهذا القول لأهل السنة هو الذي رجحه الإمام البيجوري وغيره وعليه جمهور أهل السنة والجماعة. [1] فإذن: الصفات هي ثلاث عشرة صفة، وليس هناك ما يسمى بصفات الحال.وليس إنكاراً لكونه قادرا وحياً ومريداً.. الخ لأن هذا كفر بالإجماع، وإنما هي اعتبارات لأحكام صفات المعاني وليست زائدة على ذلك. وبهذا تم الكلام عن الصفات والله أعلم.

بيان ما يستحيل نسبته الى الله تعالى.

بعد أن تم الكلام _بقدر الحاجة _ عن القسم الأول من الأقسام الثلاثة التي يجب على المكلف معرفتها وهي: ما يجب لله تعالى، وما يستحيل عليه، وما يجوز. فأذكر القسم الثاني باختصار، وهو ضد القسم الأول، ولذا فليس هناك حاجة للتطويل فيه، فذكره العلماء باختصار مفيد وسأذكر جميع نقاطه إن شاء الله تعالى.

قاعدة: كل شيء تراه في المخلوق أو يمكن أن يتصف به مخلوق أو

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص١٨٩

يمكن تصوره في الذهن ؛فاعلم أنه يستحيل وصف الله تعالى به. قال تعالى"ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

فمما يستحيل نسبته إليه تعالى:

أولاً: يستحيل عليه العدم، وهو ضد الوجود.

ثانياً: يستحيل عليه الحدوث، وهو ضد القدم.

ثالثاً: يستحيل عليه الفناء، وهو ضد البقاء.

رابعاً:يستحيل عليه المشابهة للحوادث، أي يستحيل مشابهته للمخلوقات في أي شيء لأنه ليس كمثله شيء. ولذا يمتنع أن يتصف بالأعضاء والجوارح. وقد تم بيان معنى إضافة اليد إلى الله تعالى والوجه والساق ونحو ذلك. وتم بيانها بالمعاني العربية الصحيحة التي لا يحصل فيها أي تشبيه. والله تعالى منزه عن الحلول في جهة من الجهات الست. فتعالى عن الجهات الست كلها، وهي: جهة الفوق، والتحت و الأمام، والخلف، واليمين، والشمال لأنه لو كان في جهة لكان متحيزاً محصوراً وهو ليس كذلك.

وهذا لا ينافي وصفه بالعلو كما قال تعالى: "وهو العلي العظيم" لأنه علو مرتبة وشرف وليس علو حلول في جهة ومكان. وكذلك لا ينافي إثبات الإستواء، لأنه استواء قهر وهيمنة، وليس استواء استقرار وجلوس. ولا يحل في مكان ولا يتقيد بزمان، لأنه خالق المكان والزمان. والحال في المكان منحصر فيه ومحتاج إليه، والله ليس كذلك لأن الحلول في مكان، والتقيد بالزمان من خصائص المخلوق.

ومنزه عن أن تتصف ذاته، وصفاته بالحوادث، كالقدرة الحادثة، أو الإرادة الحادثة، أو حدوث الكلام، أو العلم الحادث، أو غير ذلك من الحوادث، فالحوادث لا يتصف بها إلا شيء حادث غير قديم.

ويستحيل أن يتصف عز وجل بالأجزاء. فلا يتصف بالصغر أو الكبر، وهذا لا ينافي أنه "الكبير المتعال" لأنه كبير شرف ومرتبة وليس حجماً كما يتصور بعض المجسمة.

والمصالح والمنافع مترتبة على أحكام الله تعالى، وأفعاله، وليست دافعة لله تعالى الى أفعاله، وأحكامه، فهي تابعة لحكم الله، وفعله، وليس حكمه وفعله بتابع لها،وإلا لزم أن الخالق تابع للمخلوق سبحانه وتعالى عن ذلك. ويستحيل أن يدفعه دافع لفعل يفعله، أو حكم يحكم به. إنما يفعل ويحكم كما يريد بمحض مشيئته، وفعله وحكمه منزه عن العبث، بل فعله وحكمه هو عين الحكمة.

خامساً: يستحيل أن يكون الله تعالى صفة، أو يحتاج إلى مخصص، بل هو الغني عن كل شيء.

سادساً: يستحيل أن لايكون واحداً. ولذا فهو ليس بمركب في ذاته، وصفاته، وليس له شريك في ذاته،أو صفاته،أو أفعاله،لأنه واحد أحد. ويستحيل أن يكون في الوجود أي خالق موجد سوى الله تعالى، فكل فعل في الكون؛ فالله تعالى فاعله، أي موجده بعد أن كان عدماً. قال تعالى: "فعَّال لمايريد" (١) وقال تعالى: "والله خلقكم وما تعملون " (٢)

---

(١) البروج آية ١٦
(٢) الصافات آية ٩٦

سابعاً: ويستحيل عليه العجز عن ممكن ما، لأن هذا ضد القدرة.

ثامناً: ويستحيل أن يحدث في الكون أي شيء بغير إرادة الله ومشيئته. ويستحيل أن يوجد الله شيئاً بالتعليل، أي يستحيل أن يكون الخالق علة تنشأ عنه المخلوقات بدون إرادته كما يقول الفلاسفة. ويستحيل أن يكون وجودها بالطبع، أي أن يكون الخالق طبيعة تنشأ عنه الخلائق من غير إختيار ـ بعد اكتمال شروط، وانتفاء موا نع ـ كما يقول بعض الفلاسفة، لأن هذا ينافي اتصافه بالإرادة والتفرد بالقدم.

تاسعاً: يستحيل قدم شيء سوى الله تعالى وصفاته. فكل ما سوى الله تعالى حادث، ولذا فيستحيل قدم العالم، و يستحيل قدم أي فرد من المخلوقات، ويستحيل قدم نوع المخلوقات كما يقول المبتدعة، فكل هذا ينافي تفرد الله تعالى بالقدم، ويناقض أدلة النقل والعقل التي بيّنت أن كل ماسوى الله تعالى حادث مخلوق.

عاشراً: يستحيل أن يتصف سبحانه بالجهل، والنسيان، والشك، والوهم، وغيرها مما ينافي العلم.

الحادي عشر: يستحيل عليه الموت وهو ضد الحياة.

الثاني عشر: يستحيل عليه السكوت، ويستحيل أن يكون كلامه بحروف، وأصوات، ويستحيل عليه البكم، وغيرها مما فيه مشابهة كلامه بكلام المخلوقات، أو فيه نفي صفة الكلام.

وبهذا تم القسم الثاني والحمد لله رب العالمين.

القسم الثالث: الجائز في حق الله تعالى:

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن، وتركه، فلا يجب عليه شيء من الممكنات، كما لا يستحيل عليه فعل شيء من الممكنات، فمن الذي يوجب عليه فعل شيء، أو ترك شيء، وهو الحاكم الذي لا حكم إلا له وحده لا شريك له، فكيف يجب للمخلوقين المملوكين عليه شيء. كل عطاء منه فإنما هو تفضل وتكرم، وإحسان، وكل عذاب فإنما هو بعدله التام.

قال الله تعالى: {كتب ربكم على نفسه الرحمة} (١) وقال تعالى: {وكان حقاً علينا نصر المؤمنين} (٢)

فهذا الحق المذكور في بعض النصوص فإنما هو من باب الإحسان، والتفضل، وليس حق إيجاب وإلزام عليه سبحانه، وإنما محض تكرم منه وإحسان. وكل ما يفعل فهو بمشيئته.

قال الله تعالى: "والله يخلق مايشاء ويختار" (٣). فهو مالك المخلوقات يتصرف في ملكه كيف يشاء، ويفعل ما يريد. قال تعالى: "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون" (٤) وفعله عز وجل مشتمل على أقصى درجات الحكمة المنزهة عن الخلل، والتعقيب. وبهذا تمت الأقسام الثلاثة التي تكلم فيها أهل السنة عن الإلهيات، وهي ما يجب أن نؤمن بثبوته لله تعالى، وما يستحيل في حقه _عز وجل _وما يجوز.

---

(١) الأنعام آية ٥٤
(٢) سورة الروم الآية: ٤٧
(٣) القصص ٦٨
(٤) الأنبياء ٢٣

ثم يتبعها الكلام عن الرسل الكرام ــعليهم السلام ــوما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز.

الباب الثاني: النبوات:

باب النبوات هو ثاني مباحث علم التوحيد، بعد الإلهيات، وقد اعتنى علماء أهل السنة بهذا المبحث عناية أبرزت صدق معتقدهم في مقام النبوة، ومقدار تعظيمهم لها، بياناً لما يجب في حق الأنبياء عليهم السلام، وما يجوز، وما يستحيل. وشملت هذه العناية البحث في إمكان النبوة، وضرورتها، وحاجة الناس إليها، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على ثبوتها للأنبياء عليهم السلام عموماً، ولسيدنا محمد ـ ﷺ ـعلى الخصوص، وذلك في مقام الرد على المنكرين لها. والكلام على المعجزة بما هي طريق لإثبات النبوة وبيان خصائصها. والكلام على عصمة الأنبياء عليهم السلام، إلى غير ذلك من المسائل.

معنى النبي لغة وشرعا: النبي: له معان صحيحة في اللغة:

المعنى الأولى: من النبأ الذي هو الخبر، فيكون للدلالة على إخبار النبي ـعليه السلام ـ عن ربه.

المعنى الثاني: هو أيضا من النباوة بمعنى المكان المرتفع، فيكون للدلالة على سمو، ورفعة، ومنزلة الأنبياء ـعليهم السلام ـ ولذا يقال: نبأ الشيء إذا ارتفع، فالمعنى على هذا أن النبي مرتفع عن طور البشر باختصاصه بالوحي، وخطاب الله تعالى. يقول الإمام سعد التفتازاني –تحت الفصل الخاص بالنبوة تحديدا لمفهوم النبي: "وهو كون الإنسان مبعوثاً من الحق إلى الخلق؛ فإن كان النبي مأخوذاً من النباوة وهو الارتفاع لعلو شأنه، واشتهار مكانه، أو من النبي بمعنى

الطريق لكونه وسيلة إلى الحق تعالى، وإن كان من النبأ وهو الخبر لإنبائه عن الله تعالى". (١)

الفرق بين النبي و الرسول: كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. فسيدنا نوح عليه السلام نبي ورسول.

فالنبي شرعاً: هو من أوحى الله تعالى إليه بشرع، ولم يكلف بتبليغه.

أما الرسول: فهو من أوحى الله تعالى إليه بشرع، وأمر بتبليغه.

فإذا لم يكن نبياً فهو ليس برسول، بينما قد يكون نبياً ولكن ليس برسول.

فإذا انتفت النبوة عن شخص انتفت الرسالة عنه ولا بد، لأنه لا يرسل إلا إذا أنبأه الله وأخبره بأنه اختاره واصطفاه لوحيه أولاً، ثم يخبره بأنه أرسله إلى من أرسله إليهم بعد ذلك.

لذلك كان إخبار الله تعالى في القرآن بأن سيدنا محمدا ـ ﷺ ـ خاتم النبيين دليلاً على أنه لا نبي ولا رسول بعد سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ.

قال الله تعالى" مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ". فمادام أنه خاتم النبيين فهو من باب أولى خاتم المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام.

---

(١) شرح المقاصد ١٢٨/٢

ماهي الدلائل على صدق من ادعى النبوة؟

تعلم صحة الرسالة وصدق صاحبها فيما يقول بأمور:

الأمر الأول: أن تظهر عليه المعجزات التي أيدهم الله تعالى بها تصديقاً لهم، وتأييداً لهم على دعواهم النبوة والرسالة.

الأمر الثاني: تصديق وشهادة نبي له معجزات، وتأييده له.

فلو فرضنا أن نبياً من الأنبياء _عليهم السلام _أخبر قومه بأنه نبي ولم يظهر لهم أي معجزة وكان هناك في زمنه نبي آخر له معجزات فصدق دعوته فهو قطعاً نبي.

الأمر الثالث: أن يحدث علم ضرورة للمبعوث إليه بصدقه في رسالته. وهو دليل له لكن ليس حجة على الآخرين، لأنه لم يحصل لهم من العلم الضروري ما حصل له.

الأمر الرابع: أن يبشر به من قبله من الرسل _عليهم السلام _ ويعرفه بأوصافه، وبعينه، في وقته،وزمانه، واسمه، وحاله. كما قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد... "(١)

وهذا البرهان حجة عليهم.

---

(١) الصف آية ٦

ما يجب للأنبياء، والرسل عليهم السلام، وما يستحيل، وما يجوز:

يجب أن نعتقد بأن جميع الأنبياء والرسل _ عليهم السلام _ يتصفون قطعا بأربع صفات وهي:

١-الأمانة٢-الصدق٣- الفطانة٤-تبليغ ما أمروا بتبليغه.

ويستحيل عليهم أضداد هذه الأربعة وهي: ١-الخيانة ٢-الكذب ٣-الغفلة ٤-كتمان ما أمروا بتبليغه. ويجوز في حقهم جميع الأعراض البشرية التي ليس فيها أي نقص من مراتبهم العالية، ولا تؤدي إلى صد وتنفير عن سماع الرسالة.

التفصيل: ما يجب للأنبياء عليهم السلام:

أولا: الأمانة: أي العصمة، قال الامام السبكي رحمه الله تعالى: أجمعت الأمّة على عصمة الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلّق بالتبليغ وفي غير ذلك من الكبائر ومن الصغائر الرّذيلة الّتي تحطّ مرتبتهم، ومن المداومة على الصغائر، هذه الأربعة مجمع عليها. [1] وهذه العصمة واجبة فهم معصومون بحفظ الله لهم في ظواهرهم وبواطنهم عليهم الصلاة والسلام من التلبس بمنهي عنه، ولو نهي كراهة أو خلاف الأولى. ووجوب هذه العصمة لهم عليهم الصلاة والسلام، من أول الولادة إلى آخر العمر، فهم معصومون قبل النبوة وبعدها، فلا يصدر منهم ذنب لاستحالة صدور كل ما ينفر عنهم قبل النبوة.

وقد قال الله تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [2] فكان كل رسول

(١) الخصائص الكبرى للامام السيوطي رحمه الله تعالى ٢/٢٥٦ .
(٢) الأنعام ١٢٤

مولوداً على الاستعداد التام لأن يكون رسولاً فلذلك كانت ولايته غير مكتسبة برياضات بل فضل من الله تعالى كرسالته، بخلاف الأولياء.

العمل في النصوص التي توهم وقوعهم في المعصية:

كل ما ورد من النصوص الموهمة خلاف العصمة؛ يُفسر على أنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولا يجوز النطق به في غير مورده إلا في مقام البيان. ودليل وجوبها أنهم لو فعلوا فعلاً محرماً أو مكروهاً، أو خلاف الأولى؛ لكنا مأمورين بذلك المحرم، أو المكروه، أو خلاف الأولى؛ لأن الله تعالى قد أمرنا باتباعهم في أقوالهم، وأفعالهم من غير تفصيل. قال عز وجل: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي} (١) والله تبارك وتعالى لا يأمر بمحرم، ولا بمكروه، ولا بخلاف الأولى.

كذلك كانوا يأمرون بالطاعات وبترك المعاصي، ولو تركوا الطاعة وفعلوا المعصية لدخلوا تحت قوله تعالى: {كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (٢) وقوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ} (٣) فحاشاهم عن ذلك.

وقد أخبر سبحانه عن رسوله شعيب عليه السلام أنه قد برأ نفسه من ذلك فقال: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} (٤) و قوله تعالى حكاية

---

(١) آل عمران آية ٣١
(٢) الصف آية ٣
(٣) سورة البقرة آية ٤٤
(٤) سورة هود آية ٨٨

عن إبليس: {فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (١) فقد استثنى المخلصين من إغوائه وإضلاله.

ثانياً: ويجب أن نعتقد صدقهم عليهم السلام: وهو مطابقة خبرهم للواقع، ولو بحسب اعتقادهم، ودليل وجوبه أنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني؛ وتصديق الكاذب كذب، وهو محال في حقه تعالى، فينتج أن عدم صدقهم محال، وإذا استحال عدم الصدق وجب الصدق وهو المطلوب.

ثالثاً: الفطانة: مما يجب لهم عليهم السلام – وجوب الفطانة وهي التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم ودحض حججهم. ودليل وجوبها أن من لم يكن فطناً – بأن كان مغفلاً – لا تمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة، وهم يتعرضون في دعوتهم – إلى الله عز وجل – لخصوم يجادلونهم، فلا يمكن دفعهم إلا بهذه الخصلة.

وقد قال الله تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} (٢). وقال أيضاً: {يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ}. (٣)

أي خاصمتنا فأطلت، أو أتيت بأنواعه. وقالَ أيضاً: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}. (٤)

---

(١) سورة ص آية ٨٠
(٢) الأنعام آية ٨٣
(٣) هود آية ٣٢
(٤) النحل آية ١٢٥

رابعاً: التبليغ: أي أنهم يبلغون ما أمروا بتبليغه عن الله تعالى، قال الله عز وجل: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ.. " (١)

جاء في صحيح الحافظ ابن حبان ما نصه: ذكر الخبر الدال على إباحة كتمان العالم بعض ما يعلم من العلم؛ إذا علم أن قلوب المستمعين له لا تحتمله. ثم ساق الحافظ بن حبان بسنده: عن مسروق عن عبد الله قال: (بينما النبي ﷺ في بعض حيطان المدينة متوكئاً على عسيب، إذ جاءته اليهود، فسألته عن الروح، فنزلت: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا" (٢). وجه الدلالة أن الله تعالى أنزل هذه الآية عن الروح ولم يخبرهم عنه؛ لأنه لا مصلحة لهم في ذلك. أ ــهـ كلام الحافظ ابن حبان رحمه الله تعالى.

المستحيل في حق الأنبياء، والرسل عليهم السلام:

يستحيل في حقهم شرعاً وعقلاً نقيض ما ذكر من الواجب لهم وهي الأربعة السابقة:

أولاً: يستحيل عليهم نقيض العصمة الواجبة، فيستحيل أن يقعوا في الكفر، أو كبائر الذنوب، أو الإصرار على الصغائر بالإجماع، ويستحيل الوقوع أصلاً في الصغائر عند جمهور أهل السنة قبل البعثة وبعد البعثة. فهم معصومون من تعمد الذنب مطلقاً. وما نسب إليهم من ذلك فهو باجتهاد، أو نسيان، فمن

---

(١) المائدة ٦٧
(٢) الاسراءآية ٨٥

النسيان: أكل سيدنا آدام من الشجرة التي نهاه الله عنها. قال تعالى: "فنسي ولم نجد له عزما"

واجتهاد سيدنا موسى _عليه السلام_ لدفع ظلم القبطي ولم يكن قاصداً أن يقتله، ففعل خلاف الأولى مما يقال في مثله: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وأما سيدنا يوسف _عليه السلام_ فلم يهمَّ أصلاً بالزنا، لأنه رأى برهان ربه عز وجل، فلم يحصل الهمّ بالزنا قال تعالى: "وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه" أي فلم يهم بها، وهذا هو الصحيح. و ما حصل من اعتذار الأنبياء _عليهم السلام _و استغفارهم من بعض الأفعال فهو بسبب عدم فعلهم الأكمل وذلك يعتبرونه معصية لأن شأن الأنبياء عظيم فلا يقاسون بغيرهم من الثقلين.

ثانياً: يستحيل في حقهم الكذب _عليهم السلام _ واما التورية فليست بكذب بل هي صدق، كقول سيدنا إبراهيم عليه السلام "إني سقيم" أي حزين بسبب أفعالكم وليس المرض الحسي الذي تبادر إلى أذهانهم. وقوله: " فعله كبيرهم هذا" هو من باب إقامة الحجة عليهم وليس المقصود به ظاهر الكلام، ولذا انكسروا ورجعوا إلى أنفسهم فالأنبياء _عليهم السلام _ عصموا من الكذب الحقيقي.

ثالثاً: يستحيل عليهم كتمان التبليغ الذي أمرهم الله تعالى بتبليغه.

رابعاً: يستحيل عليهم ضعف الفهم وكل ما يؤدي إلى ضعف إقامة الحجة.

الجائز في حق الرسل، والأنبياء عليهم السلام:

يجوز في حق الرسل _عليهم الصلاة والسلام _كل الأعراض البشرية التي لا

تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، فيجوز عليهم الأكل، والشرب، والنكاح كما يجوز أن يرضوا ويفرحوا، ويغضبوا، ويستحيوا، ولكن كلها لله تعالى. كما يجوز أن يمرضوا بالأمراض التي لا تعجزهم عن أداء رسالتهم، ولا تنفر الناس منهم، وأما ما قيل عن سيدنا أيوب _عليه السلام _من أنه مرض مرضاً نفر الناس منه فهو كذب وافتراء عليه من خيالات بعض اليهود، وقد غلط بعض المفسرين فنقلها في كتب التفسير.

الدليل على الجائزات:

الدليل هو مشاهدة تلك الأعراض بهم، كما أن هذه الأعراض لا تخل بمنصب الرسالة.

قال تعالى: "قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ". [١]

وقال الله تعالى "وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق " [٢]

أما الأعراض التي تخل بمنصب الرسالة، مثل الإغماء الطويل، والجذام، والبرص، والجنون، والعمى والأمراض المنفرة فكلها ممتنعة عليهم.

وأما السهو، والنسيان، فلا يجوز عليهم إلا فيما يتصل بأمر التشريع فقط كسهو رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _في الصلاة لتعليم الأمة.

(١) الاسراء آية ٩٥
(٢) الفرقان آية ٢٠

وأما النسيان من جانب الشيطان فمستحيل عليهم إذ ليس للشيطان عليهم سبيل.

ويجب شرعاً اعتقاد التالي:

١ـ أن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ هم من البشر خاصة وليسوا من الملائكة عليهم السلام ولا من الجن ولا من غيرهم من المخلوقات وإنما من البشر فقط.

قال الله تعالى "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي.. "(١) وقال الله تعالى: "قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا " فبين عز وجل في هذه الآية: أن رسول البشر يلزم أن يكون من جنس البشر المرسل إليهم، فلو كان الله تعالى أرسل رسولاً إلى الملائكة لنزل عليهم ملكاً مثلهم، أي وإذا أرسل إلى البشر أرسل لهم بشراً مثلهم. وقد أوضح هذا المعنى في مواضع أخر؛ كقوله تعالى: "وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ". (٢) فالبشر لا يتحملون رؤية الملائكة على وصفهم الحقيقي النوراني؛ وذلك لشدة ظلمة الكفر. كما أنهم لا يأنسون برؤية الجن لأنها منفرة لهم. فلم يصلح لهم إلا ما أراد الله تعالى وهو رسول من البشر إلى الثقلين.

٢ـ أن الأنبياء عليهم السلام من الرجال خاصة وليسوا من النساء: قال الله عز وجل: " وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم " (٣). ومريم وأم موسى

---

(١) الكهف آية ١١٠
(٢) الأنعام آية ٩
(٣) النحل آية ٤٣

رضي الله عنهما ليسوا أنبياء وانما هي ولاية وليست نبوة.

فأعطى الله لهما بعض الكرامات من الإلهام الذي ألهمه لأم موسى وسماه وحيا. ومكالمة السيدة مريم للملك وغيرها من الكرامات.

٣ ــ التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام له جهتان:

الجهة الأولى: جهة يحرم فيها التفضيل: فيجب الإيمان بجميع الأنبياء بدون فرق قال الله تعالى" آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله.. " وكذلك يحرم التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام إذا كان يتضمن التنقص لأحد من الأنبياء عليهم السلام.

الجهة الثانية: جهة يجوز فيها التفاضل: وهو اعتقاد أن الانبياء ــعليهم السلام ــ أكمل المخلوقين، مع اعتقاد أن بعض الأنبياء ــعليهم السلام ــ زادوا في مراتب الكمال على بعض. كما قال تعالى " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات" (١) وأكمل الرسل عليهم السلام أولوا العزم وهم خمسة: وهم سيدنا محمد ﷺ وسيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا نوح عليهم الصلاة والسلام. وهم على هذا الترتيب في الكمال فأكملهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ثم سيدنا إبراهيم خليل الرحمن وهكذا...قال تعالى في شأن سيدنا محمد– ﷺ " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " (٢) وقال تعالى في شأن سيدنا إبراهيم عليه السلام " واتخذ الله

---

(١) البقرة آية ٢٥٣
(٢) الاسراء ٧٩

إبراهيم خليلا " (١) وقوله تعالى " إني جاعلك للناس إماما" (٢) وثبت في الأحاديث الصحيحة، أن سيدنا محمد_ ﷺ _ صلى بجميع الأنبياء عليهم السلام في المسجد الأقصى المبارك. وأنه الشافع الوحيد في موقف الكرب لجميع العالمين يوم القيامة. وثبت أن سيدنا موسى عليه السلام كليم الله تعالى في الأرض.

٤- بعض ما يخص سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: فنؤمن يقينا بالأمور التالية:

الأمر الأول: أنه خاتم النبيين فلا نبي بعده _عليه الصلاة والسلام _وشريعته خاتمة الشرائع.

وحين ينزل سيدنا عيسى _عليه السلام _ آخر الزمان فإنه يحكم بالشريعة المحمدية.

الأمر الثاني: أن بعثته لجميع الثقلين الإنس والجن عربهم وعجمهم.

الأمر الثالث: أن شريعته ناسخة لجميع شرائع الأنبياء السابقين _عليهم السلام_ فلا يُقبل شريعة إلا شريعته. أما العقيدة فهي واحدة لا تتغير في جميع الرسالات. فمن لم يدخل الإسلام بعد بعثة سيدنا رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ إذا بلغته الدعوة؛ فهو كافر.

قال الله تعالى: "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من

---

(١) النساء ١٢٥
(٢) البقرة ١٢٤

الخاسرين" (١)

وقال تعالى أيضاً: " وما أرسلناك إلا كافة للناس " (٢) وقوله تعالى: "إني رسول الله إليكم جميعا" (٣)

وقوله تعالى: "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً" (٤)

---

(١) ال عمران آية ٨٥
(٢) سبأ آية ٢٨
(٣) الأعراف ١٥٨
(٤) الفرقان آية ١

الباب الثالث: السمعيات

ويسمى مبحث الغيبيات، ويتضمن الكلام عن ثلاث مسائل عقدية وهي:

الأولى: الكلام عن الملائكة عليهم السلام وعن الجن.

الثانية: الكلام في القضاء والقدر.

الثالثة: في أحوال اليوم الآخر.

الإيمان بالملائكة عليهم السلام: الإيمان بالملائكة يقوم على أصلين:

الأصل الأول: التصديق الجازم بوجود ملائكة خلقهم الله تعالى.

الأصل الثاني: الإيمان الإجمالي بماجاء في القرآن الكريم، والسنة الثابتة القطعية، وكذلك السنة التي تلقاها العلماء بالقبول، من كلام عن الملائكة _عليهم السلام _وإن لم يعلم تفاصيل ذلك.

هذان الأصلان يكفيان في التحقق بأصل الإيمان.

قال الله تعالى: "و من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا" (١).

وبهذا فإن وجود الملائكة _عليهم السلام_ ثابت بالدليل القطعي، فقد ورد ذكرهم في الكثير من الآيات في القرآن الكريم، و لذلك فإن إنكار وجود الملائكة كفر بإجماع المسلمين وبنص القرآن الكريم كما جاء في الآية المذكورة سابقاً.

---

(١) النساء، الآية ١٣٦.

وأما الإيمان التفصيلي فيتضمن ما يلي:

١ _ الإيمان بأن الملائكة _عليهم السلام _لا يعصون الله تعالى، فهم معصومون من ذلك، قال تعالى "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" وهاروت وماروت لم يحصل منهم معصية، ولم يثبت ذلك في الكتاب، والسنة، بل هم ملائكة أرسلهم الله تعالى فنفّذوا أمره بأن جعلهم فتنة _أي اختبارا_ للناس لحكمة قضاها الله تعالى، وكانوا يحذّرون الناس فقالوا "إنما نحن فتنة فلا تكفر" أي لا تكفر فتعمل بالسحر، وتستحل ذلك.

ونؤمن بصفات الملائكة الخِلقية التي وردت.

٢_ جاء عن سيدنا رسول الله _ﷺ_ أن الملائكة _عليهم السلام_ خُلقوا من نور، وذلك في قوله _عليه الصلاة والسلام _ "خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجانّ من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم" (١)

٣ _ أن الملائكة _عليهم السلام_ ليس لهم شهوات، كشهوة الطعام، والنكاح، وغيرها، ولذلك لا يجوز القول بأنهم إناث، ولا ذكور لأنه لا يتصف بالذكورة والأنوثة إلا من له قابلية ذلك. والملائكة عليهم السلام لا يتصفون بذلك.

٤_ الملائكة عليهم السلام لهم القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر، بإذن الله تعالى، وقد ذكر الله _ عز وجل _ هذا في القرآن الكريم لما جاء سيدنا جبريل _عليه السلام _ إلى السيدة مريم رضي الله عنها في صورة بشرية، قال تعالى

(١) رواه مسلم (٢٩٩٦)

"فتمثل لها بشراً سوياً" (١)

و أيضا في حديث جبريل ــ عليه السلام ــ المشهور، عندما جاء يعلم الصحابة ــرضي الله عنهم ــ معنى الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأشراط الساعة، فجاء في صورة إنسان.

٥ــ أن للملائكة ــعليهم السلام ــأجنحة كما في قوله عز وجل: "الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير" (٢)

٦ــيجب الإيمان بأسماء الملائكة التي وردت أسماؤهم في الكتاب، أو في السنة بالتفصيل، فمن هؤلاء الملائكة الكرام عليهم السلام:

سيدنا جبريل عليه السلام: وهو الملك الموكل بالوحي.وسيدنا ميكائيل: وهو الملك الموكل بالقطر الذي به حياة الأرض، والنبات، والحيوان.

وسيدنا إسرافيل ــعليه السلام ــ: وهو الملك الموكل بالنفخ في الصور.

وسيدنا مالك ــعليه السلام ــ: وهو خازن النار.

و ملك الموت وقد ورد أن اسمه عزرائيل ــعليه السلام ــ.

تنبيه: ذكر علماء أهل السنة ومنهم جمهور المفسرين أن اسم ملك الموت ــعليه السلام ــ هو عزرائيل وذلك في تفسير قوله تعالى "قل يتوفاكم ملك الموت"، بل حكى القاضي عياض الإجماع على ذلك: فقال في "كتاب الشفا

---

(١) مريم آية ١٧
(٢) (فاطر، الآية ١).

" في آخر فصل الردة [(١)]: "وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين ـ عليهم السلام ـ، أو على معين ممن حققنا كونه من الملائكة، والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه، أو حققنا علمه بالخبر المتواتر، والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع، كجبريل وميكائيل، ومالك، وخزنة الجنة، وجهنم، و الزبانيه، وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة، ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل، وإسرافيل، ورضوان، والحفظة، ومنكر، ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما". انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

أوصاف الملائكة عليهم السلام:

أحدها: أن الملائكة عليهم السلام رسل الله، قال تعالى: "جَاعِلِ الملائكة رُسُلاً " [(٢)]

وثانيها: قربهم من الله تعالى، وذلك يمتنع أن يكون بالمكان والجهة فلم يبق إلا أن يكون ذلك القرب هو القرب بالشرف وهو المراد من قوله تعالى " وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ " [(٣)]. وقوله تعالى " بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ " [(٤)]. وقوله " يُسَبّحُونَ الليل والنهار لاَ يَفْتُرُونَ " [(٥)]

وثالثها: وصف طاعاتهم وذلك في قوله تعالى حكاية عنهم "وَنَحْنُ نُسَبّحُ

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٤٨)
(٢) فاطر آية ١
(٣) الأنبياء آية ١٩
(٤) الأنبياء ٢٦
(٥) الأنبياء آية ٢٠

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ " وقال في موضع آخر: "وَإِنَّا لَنَحْنُ الصافون وَإِنَّا لَنَحْنُ المسبحون " (١)

والله تعالى أقرهم في ذلك فثبت بها مواظبتهم على العبادة، ومبادرتهم إلى امتثال أمر الله تعظيماً له، وهو قوله: " فَسَجَدَ الملائكة كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ " و أنهم لا يفعلون شيئاً إلا بوحيه، وأمره وهو قوله تعالى: "لاَ يَسْبِقُونَهُ بالقول وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ" (٢)

ورابعها: وصف قدرتهم: فمما يدل على ذلك أن حملة العرش؛ وهم ثمانية يحملون العرش، ثم إن الكرسي الذي هو أصغر من العرش، أعظم من جملة السموات السبع لقوله تعالى: " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والأرض" فانظر إلى نهاية قدرتهم، وقوتهم التي أعطاهم الله تعالى، وأن جبريل عليه السلام بلغ في قوته إلى أن قلع جبال آل لوط وبلادهم دفعة واحدة ثم خسف بهم الأرض.

وخامسها: وصف خوفهم ويدل عليه وجوه: الأول: أنهم مع كثرة عباداتهم، وعدم إقدامهم على الزلات ألبتة، يكونون خائفين، وجلين حتى كأن عبادتهم معاصي، قال تعالى: " يخافون رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ " (النحل). وقال تعالى: "وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ". (٣) وبقية الوجوه مذكورة في تفسير الإمام الرازي رحمه الله تعالى في سورة البقرة آية ٣٠.

---

(١) لصافات : ١٦٦
(٢) الأنبياء آية ٢٧
(٣) " الأنبياء آية ٢٨ وانظر تفسير الامام الرازي لسورة البقرة عند قوله تعالى "وإذ قال ربك للملائكة ..." .آية ٣٠

الإيمان بوجود الجن:

الإيمان بوجود الجن هو من الإيمان بالغيب، و الجن حق، وهم خلق من خلق الله ـعز وجلـ منهم المسلم، ومنهم الكافر. وثبت في القرآن أنهم يروننا ولا نراهم.

قال الله تعالى: "يا معشر الجن والإنس " (١) وقال تعالى: " والجان خلقناه من قبل من نار السموم " (٢) وقال تعالى حاكياً عنهم أنهم قالوا: "وأنا منّا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً *وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً" (٣) وقال تعالى: "إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ". (٤)

واختلف العلماء في إبليس هل هو جنس مستقل أم أنه من الجن أم من الملائكة عليهم السلام ؟ والصواب أنه ليس من الملائكة بلا ريب والصحيح أنه جنس مستقل وليس من الجن أما قول الله تعالى: "إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ". (٥) فالمقصود أنه عاش معهم وليس المقصود أنه من جنسهم فضلا عن أن يكون من الملائكة عليهم السلام .ويدل على أنه جنس مستقل هو أن ذريته أعداء لبني آدام كما قال تعالى " **فَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**" والجن ليسوا كذلك بل منهم المسلم ومنهم الكافر . قال الامام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في

(١) الرحمن آية ٣٣
(٢) الحجر آية ٢٧
(٣) الجن آية ١٤_١٥
(٤) الأعراف آية ٢٧
(٥) الكهف آية ٥٠

تفسيره زاد المسير: قوله تعالى : " والجان " فيه ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه مسيخ الجن ، كما أن القردة والخنازير مسيخ الإنس ، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني : أنه أبو الجن ، قاله أبو صالح عن ابن عباس . وروى عنه الضحاك أنه قال : الجان أبو الجن ، **وليسوا بشياطين ، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس ، والجن يموتون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر**.

والثالث : أنه إبليس ، قاله الحسن ، وعطاء ، وقتادة ، ومقاتل. فإن قيل : أليس أبو الجن هو إبليس ؟ فعنه جوابان:

أحدهما : أنه هو ، فيكون هذا القول هو الذي قبله.

والثاني : أن الجان أبو الجن ، وإبليس أبو الشياطين ، **فبينهما إذا فرق على ما ذكرناه عن ابن عباس**. انتهى[1] .والله أعلم .وقد اتفق أهل السنة على الإيمان بوجود الجن. قال الشيخ أبو قاسم الأنصاري في شرح الإرشاد لإمام الحرمين الجويني: (وقد أنكرهم معظم المعتزلة، ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم، وركاكة ديانتهم، فليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد نصت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم، وحق على اللبيب المعتصم بحبل الدين أن يثبت ما قضى العقل بجوازه، ونص الشرع على ثبوته). أ_هـ (٢) ويقول الإمام ابن حجر الهيتمي: (وأما الجان فأهل السنة والجماعة يؤمنون بوجودهم). أ_هـ (٣) وقد

---

[1])تفسير سورة الحجر آية ٢٧

(٢) كما في شرح كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة ٣٢٣

(٣) الفتاوى الحديثية (ص: ١٢٣).

تقدم كثير من الأدلة التي يستند إليها أهل السنة والجماعة في إثبات ذلك.

فالمسلم يعتقد بوجودهم كما صرحت به النصوص الشرعية.

القسم الثاني من السمعيات: القضاء والقدر:

القدر هو: إيجاد الله الأشياء على قدر مخصوص أراده الله تعالى. فهو من الأفعال.

أما القضاء: فهو إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال، فهو من صفات الذات.

والقضاء والقدر يجب الرضا بهما قال الإمام السعد التفتازاني ــرحمه الله ــ:

إن الكفر والمعاصي مقضي ومقدر، لا قضاء وقدر، والواجب الإيمان به إنما هو القضاء والقدر، وليس المقضي والمقدر، فالمؤمن بهما لا يعترض على الله في قضائه وقدره، ويعتقد أنه لحكمة وإن كنا لا نعلمها، وإنما يعترض على الكافر والفاسق في اختيارهما واكتسابهما. أ–هـ

أي لأن الإيمان بالكفر كفر فلا يصح كونه من الإيمان بالقضاء والقدر، فالإيمان المطلوب هو بأن الله قدّره وقضاه، وليس المطلوب الإيمان بالكفر أو المعاصي، وإلا للزم الإيمان بوجود الشريك لله سبحانه وتعالى، وهذا لايقوله مسلم. فيجب على المكلف أن يؤمن بأن الله سبحانه علم أزلاً بجميع أفعال العباد، وخصص بإرادته – سبحانه – أزلاً هذه الأفعال على وفق العلم وأنه أوجدها – حين أوجدها فيما لا يزال – على القدر المخصوص والوجه المعين الذي سبق العلم به وخصصته إرادته عز وجل.

الإيمان بكرامات الأولياء:

قال السعد في شرح العقائد النسفية: والولي هو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات.

وكرامته ظهور أمر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة.

والدليل على حقية الكرامة ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن إنكاره خصوصاً الأمر المشترك مطلق خارق للعادة، وإن كانت التفاصيل آحاداً.

وأيضاً الكتاب الكريم ناطق بظهورها من مريم ومن صاحب سليمان عليه السلام، **وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز**. أـ هـ [(١)] وكرامات الأولياء مستمرة إلى آخر الزمان لتأييد الحق ونصرة أهله، وهي لا تطلب ولكن الله يعطي من يشاء، ولا يتعلق بها إلا الضعفاء، وأما العارفون فتعلقهم بربهم عز وجل.

القسم الثالث من السمعيات: الإيمان بالبرزخ واليوم الآخر:

أولاً: البرزخ: حياة البرزخ هي المرحلة الثانية بعد الحياة الدنيا، وتستمر حتى البعث.

---

(١) شرح العقائد النسفية ص٢٢٠_٢٢١

قال الله تعالى: "ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون" (١) وفي هذه الحياة البرزخية يكون إما في نعيم أو في عذاب. وأصل النعيم والعذاب على الروح، ولكن الجسد تابع لها، ثم يفنى الجسد إلا أجساد الأنبياء _عليهم السلام _ ومن شاء الله _تعالى _ من الصالحين، والشهداء. وهذا النعيم أو العذاب يحصل ولو لم يكن الإنسان مدفوناً.

والأدلة على ذلك كثيرة منها: قول الله تعالى: "فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ" (٢)

وفي الصحيحين (٣) والسنن عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله _ ﷺ _ قال: "المسلم إذا سئل في قبره شهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله" يقال له من ربك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيّي محمد – وذلك قول الله تعالى: "يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء " (٤)

الأدلة من السنة المطهرة على عذاب القبر ونعيمه:

وهي - أيضا – كثيرة نذكر منها: سألت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها_ رسول الله _ ﷺ _ عن عذاب القبر؟ فقال _ ﷺ _ "نعم، عذاب القبر حق" قالت عائشة _ رضي الله عنها _: فما رأيت رسول الله _

(١) المؤمنون آية ١٠٠
(٢) غافر ٤٥_٤٦
(٣) البخاري ٤٦٩٩ومسلم ٢٦٢/٨
(٤) سورة ابراهيم آية ٢٧

ﷺ ـــ بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. [١]

وعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ـــ ﷺ ـــ مر بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة" [٢] والنصوص في هذا كثيرة.

ومن نعيم الأرواح في البرزخ انطلاقها على قدر عملها وطاعتها لله ـــعز وجل ـــ، أما أرواح الكفار فمحبوسة في العذاب.

ومن أراد الزيادة عن حال الروح فعليه بكتاب شرح الصدور للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى. [٣]

ثانياً: البعث: وهو إحياء الأجساد وإرجاع الأرواح فيها: وهو أمر مجمع عليه.فمن أدلة البعث قال الله تعالى: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون} [٤] وقال تعالى: {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير} [٥]

ثالثاً: الحشر: وهو جمع الناس للحساب يوم القيامة. وهو أمر مجمع عليه.قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآَخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [٦]

---

(١) البخاري ١٣٧٢
(٢) متفق عليه.
(٣) وكذلك كتاب حياة الأنبياء للبيهقي وللسيوطي وأهوال القبور لابن رجب والروح لابن القيم.
٤ النحل آية ٣٨
٥ التغابن آية ٧
٦ الواقعة آية ٤٩

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآَخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾. (٢)

وقال تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ (٣)

وهذه النصوص تدل على حشر الخلائق جميعًا الجن والانس والبهائم:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ (٥)

ويحشر العباد يوم القيامة، حفاة، عراة، غرلًا، أي غير مختونين، كما ولدتهم أمهاتهم. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ ــ ﷺ ــ: "يَا عَائِشَةُ! الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ" (٦)

وكل إنسان يُبعث على الحال التي مات عليها، فعن جابر– رضي الله عنه – أن النبي ــ ﷺ ــ قال: "يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ" (٧)

---

١ الحجر آية ٢٥
٢ [هود آية : ١٠٣
٣ البقرة آية ١٤٨
٤ الأنعام٣٨
٥ التكوير آية ٥
٦ البخاري ٦٥٢٧ ومسلم ٢٨٦١
٧ مسلم ٢٨٧٨).

هيئات الناس في الحشر: منهم من يحشر على وجهه: قال الله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [١] وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنفٌ مُشَاةٌ، وَصِنفٌ رُكبَانٌ، وَصِنفٌ عَلَى وُجُوهِهِم"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِم؟ قَالَ: "إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُم عَلَى أَرْجُلِهِم قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُم عَلَى وُجُوهِهِم، أَمَا إِنَّهُم يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِم كُلَّ حَدَبٍ وَشَوكٍ". [٢]

طريقة حشر المتقين وحشرالمجرمين:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [٣] أي: عطاشًا.

وقال عزوجل في وصف حشر المجرمين: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ [٤] وقد ذكر المفسرون أقوالاً في معنى "زرقا" منها أن المراد بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف. ذكره الإمام القرطبي في تفسيره.

الأرض التي يحشرون عليها:

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ

---

١ الاسراء آية ٩٧
٢ رواه لإمام أحمد في مسنده.
٣ مريم ٨٥_٨٦
٤ طه آية ١٠٣

الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[١]

عن سهل ابن سعد – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ" قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: "لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لأَحَدٍ" [٢]

رابعاً: الموقف العظيم: قال الله تعالى " يوم يقوم الناس لرب العالمين"

سبب الوقوف: قال الامام ابن جرير الطبري في تفسير سورة المطففين: ﴿ يوم يقوم الناس ﴾ من قبورهم (لرب العالمين) أي لأمره ولجزائه ولحسابه، فسببه هو انتظار حكم الله ــتعالى ــفيهم ومحاسبتهم على أعمالهم.

صفة حالهم في ذلك الموقف: جاء في الحديث أن النبي ــ ﷺ ــ قال: "يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه" [٣].

وعن ابن عمر: أنه قرأ هذه السورة، فلما بلغ قوله: (يوم يقوم الناس لرب العالمين) بكى نحيباً حتى عجز عن قراءة ما بعده.

وكان رسول الله ــ ﷺ ــ " يقول: " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل "... قال: " فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً "، قال: وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه " [٤]

---

١ ابراهيم آية ٤٨
(٢)متفق عليه.
(٣) رواه البخاري ٤٩٣٨
(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب صفة الجنة ونعيمها باب ما يكون يوم القيامة.

خامساً: الشفاعة: من إكرام الله تعالى للمؤمنين أن جعل لخواص عباده من الأنبياء عليهم السلام، والأولياء جاه ومنزلة رفيعة بين الناس؛ لصدقهم، وإخلاصهم لله ــتعالى ــفي الحياة الدنيا دار العمل والمجاهدة.

ومن رحمة الله بعبادة أن جعل شفاعة للأفراط الذين ماتوا صغاراً في والديهم، وشفاعة لعموم المؤمنين في عصاة المؤمنين.

والشفاعة في النصوص الشرعية على قسمين:

القسم الأول: شفاعة ممنوعة: وهي الشفاعة للكفار في عدم التأبيد في النار.

قال الله تعالى في سورة المدثر "فما تنفعهم شفاعة الشافعين" (١)

وقال تعالى "واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " (٢) وقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون " (٣)

وكل شفاعة ممنوعة فهي خاصة بالشفاعة في الكفار في الخروج من النار.

القسم الثاني: الشفاعة الثابتة وهي: الشفاعة في الموحدين المؤمنين.

ومن أدلتها: قال الله تعالى: "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى.. " (٤)

---

(١) المدثر ٤٨
(٢) البقرة آية ٤٨
(٣) البقرة آية (٢٥٤
(٤) الأنبياءآية ٢٨

وقال تعالى: " لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا " (١)

وقال تعالى "يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا". (٢)

فكل شفاعة نفاها الله تعالى فهي الشفاعة في منع الكفار من عذاب النار أوخروجهم من النار، وكل شفاعة مثبتة فهي للمؤمنين، إلا الشفاعة العظمى الخاصة بسيدنا محمد ﷺ في الفصل بين الناس في الموقف، فهي لجميع الخلق وقد أجمع عليها جميع علماء المسلمين، وشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه.

ومن الشفعاء: أعظم الشفعاء سيدنا محمد رسول الله ﷺ والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام.

والأولياء الصديقون ــرضي الله عنهم ــ، والشهداء، وكذا عموم المؤمنين الناجين.

جاء في إثبات شفاعة الصالحين والمؤمنين قوله ــ ﷺ ــ: ((ثم يقال: ادعوا الأنبياء، فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الصديقين، فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون)). (٣) وحديث أبي بكرة عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال: ((يحمل الناس على الصراط، فينجي الله من شاء برحمته ثم يؤذن للملائكة، والنبيين، والشهداء، والصديقين؛ فيشفعون)). (٤)

---

(١) مريم آية ٨٧

(٢) طه آية ١٠٩

(٣) أخرج الإمام أحمد من مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(٤) رواه أحمد في المسند٥/٤٣والطبراني في المعجم الصغير ٩٢٩وصححه السيوطي في البدور السافرة٢٥١

الشفاعة خمسة أقسام كما نقل الإمام النووي ــرحمه الله تعالى ــفي شرحه لصحيح مسلم بالإضافة إلى الشفاعة في أبي طالب وهي:

أولها: مختصة بنبينا ــ ﷺ ــ وهي الإراحة من هول الموقف، وتعجيل الحساب.

الثانية: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه وردت أيضا لنبينا ــــ ﷺ ــ وقد ذكرها مسلم رحمه الله في صحيحه.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار بسبب الذنوب أن لا يدخلوها: فيشفع فيهم سيدنا رسول الله ــ ﷺ ــ، ويشفع من شاء الله من الأنبياء ــعليهم السلامــ والصالحين فلا يدخلون النار.

الرابعة: الشفاعة فيمن دخل النار من الموحدين أن يخرجوا منها: وهي عامة لجميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وللأولياء والمؤمنين الناجين.

الخامسة: الشفاعة في رفع درجات أهل الجنة في الجنة.

فالشفاعة العظمى هي أمر مجمع عليه بين المسلمين، وهي أن يشفع سيدنا محمد رسول الله ــ ﷺ ــ في الخلائق أن يرفع الله عنهم ذلك البلاء والكرب في الموقف العظيم.

بعد أن يتراجع عنها أولو العزم من الرُّسل نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم ـ عليهم السَّلام ـ، وقبلهم سيدنا آدم ـ عليه السّلام ـ، حتى تنتهي إلى سيدنا ونبيِّنا محمد ــ ﷺ ــفكلهم يعتذرون بأنهم لا يستطيعون الشفاعة.

وهذه الشَّفاعة العظمى هي من المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (١)

---

(١) الإسراء آية :٧٩

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ: «إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلقَةِ البَابِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الجَمْعِ كُلُّهُمْ» (١)

وقد ذكر ابن أبي شيبة عن شبابة، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله تعالى: [عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا] قال: شفاعة محمد ـ ﷺ ـ " أ_هـ

سادساً: حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

والحوض هو مجمع الماء. فمن أهوال المحشر يعطش العباد عطشاً عظيماً. عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ " إن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة " (٢)

صفات الحوض:

من وصفه وسعته عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدا " (٣). والكيزان هي المغاريف التي يشربون بها الماء.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم

المطرودون عن الحوض والعياذ بالله: يثبت ذلك أحاديث منها عن سيدنا أبي سعيد الخدري وما رواه الإمام البخاري أيضا عن سيدنا أنس رضي الله عنهما" ليردن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم، اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقال لي: لا تدري ما أحدثوا بعدك " (١)

تنبيه:معنى قوله "أصحابي" ،في هذا الحديث هو نفس المعنى في قوله "أتريد أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" أي من التقى به وصحبه ولكنه ارتد بعد ذلك ،وليس بمعنى أصحابه الذين بقوا على الإيمان وإنما هؤلاءهم من ارتدوا عن الإسلام وقاتلهم سيدنا أبو بكر ــرضي الله عنه ــفي خلافته الراشدة ، وليس المقصود أصحابه بالمعنى الشرعي، أي من لقيه مؤمناً به ومات على ذلك .وبه تعلم سخافة استدلال الرافضة بهذا الحديث على تكفير الصحابة كأبي بكر ،وعمر، وعثمان والزبير ،وطلحة ،وكثير من الصحابة رضي الله عنهم فنعوذ بالله من الرافضة وعقائدهم الكفرية المضلة.

وعن السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم، فو الله ليقتطعن دوني رجال، فلأقولن: أي رب مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم... " (٢)

وهم نفس من ارتد واتبع مسيلمة الكذاب، وأتباع الأسود العنسي ونحوهم ممن

(١) رواه الامام البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق .
(٢) رواه مسلم

ارتدوا عن الاسلام بعد وفاة سيدنا ــرسول الله صلى الله عليه وسلم ــكما تم بيان معناه آنفاً.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ــ ﷺ ــ " بينا أنا قائم، فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله.

قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم **ارتدوا بعدك** على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم " (١) فهذا حال المرتدين الذين ماتوا على الردة وقاتلوا ضد الصحابة رضي الله عنهم زمن خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الامام القرطبي في كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: قال علماؤنا: رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله؛ فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها،

فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم و تطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل

---

(١) رواه البخاري .

الزيغ والأهواء والبدع..... أ_ هـ (١)

سابعاً: الحساب: الحساب: إطلاع اللهِ العباد على ما عملوا من أعمال في الدنيا وإقرارهم بها.

وهو ثابت بالإجماع والقرآن الكريم والسنة المطهرة. قال الله تعالى: "إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ" (٢) وقال الله تعالى: " فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ *إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ *فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ *فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ *قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ *كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ " (٣) قال رسول الله _ ﷺ _: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه " (٤)

ثامناً: الإيمان بالميزان:

وهو عند أهل السنة الأشاعرة، والماتريدية، ومن تبعهم؛ ميزان حسي وليس معنوياً كما يقول المعتزلة وغيرهم. قال الله تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا} (٥)

(١) االتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٧١٠_٧١١)
(٢) الغاشية آية ٢٥_٢٦
(٣) الحاقة آيات من ١٩_٢٩
(٤) رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في السنن واللفظ له.
(٥) الأنبياء آية ٤٧

وقال تعالى: {فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية} (١)

قال الامام القرطبي رحمه الله: قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعد وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.. أ_هـ (٢)

هل يكون الميزان لجميع المخلوقين؟ الميزان حق ولا يكون في حق كل أحد بدليل قوله عليه الصلاة والسلام فيقال يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه الحديث.

قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا. (٣)

تاسعاً: الإيمان بالصراط: وهو الجسر المنصوب على ظهر جهنم يعبر المسلمون عليه إلى الجنة.

فهو عند أهل السنة والجماعة صراط حسي وليس معنوياً.

والمسلمون كلهم يثبتون الميزان، والصراط، ولا ينكرونه، وإنما وقع الخلاف في صفة الميزان والصراط، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأنه حسي.

فالميزان له كفتان حسيتان، وتوضع فيهما الأعمال بكيفية يعلمها الله تعالى، فترجح كفة على كفة.

---

(١) القارعة ٦_٩
(٢) كما في كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة.
(٣) كتاب احياء علوم الدين.

والصراط جسر حسي منصوب فوق جهنم، وأما المعتزلة ومن وافقهم فيقولون: معنوي وليس حسياً. فالخلاف بين المسلمين ليس في إثبات الصراط، والميزان، لأن أدلة ثبوته قطعية. ومنكرها كافر مكذب للنصوص القطعية، وإنما الخلاف في إثبات صفة الميزان، والصراط لأن إثبات صفة ذلك ظنية الثبوت.

فمنكرها ليس بكافر، ولكنه مبتدع لأنه لا حجة له في رد الأدلة التي تثبت صفة الميزان، والصراط، وليس في إثباتها ما يخالف دلائل العقل، والنقل.

قاعدة: كل الأمور الغيبية يثبتها أهل السنة على أنها لا تماثل المعاني التي عرفناها في الحياة الدنيا، لأن عالم الأخرة ليس كعالم الدنيا.

المرور على الصراط: الذين يمرون على الصراط هم المسلمون، أما الكفار والمشركون فتتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا من الأصنام، والشياطين، ونحوهما من الآلهة الباطلة، فترد النار مع معبودها. كما قال الله عز وجل: " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون" (١) ويكون المرور على الصراط بعد الحساب ووزن الأعمال والفراغ منها.

ثم يأمر الناس بالمرور على الصراط كما قال الله عز وجل: "وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " (٢)

واختلف أهل السنة في الورود هل هو العبور على الجسر المنصوب فوق جهنم؟

(١) الأنبياء آية ٩٨_٩٩

٢ مريم آية ٧١_٧٢

أم أن الورود هو دخول جهنم حقيقة ولكن لا تضر المؤمن بل ينجو منها ويبقى الظالم فيها جاثياً؟ وهما قولان لأهل السنة وهما محتملان.

صفة الصراط والمرور عليه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث الرؤية وصفة الصراط... -وفيه- قيل يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: "دحض مزلة، فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسك تكون بنجد، فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم" [١]

أول من يعبر الجسر: أول من يعبر الصراط هو سيدنا محمد رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-. وأمته، ولا يعبر الصراط إلا المؤمنون، فيعطون نورهم على قدر إيمانهم، وأعمالهم، ثم يمرون على الصراط بحسب ذلك.. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله_ ﷺ _ قال في حديث الرؤية: "ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم". [٢]

القنطرة بعد عبور الصراط: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله_ ﷺ _: "يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا

---

١ رواه البخاري ٧٠٠١
٢ متفق عليه.

ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا" (١)

الحادي عشر: الإيمان بالجنة والنار:

١ـأهل السنة والجماعة يؤمنون بوجود الجنة والنار اليوم، ويؤمنون باستمرار ودوام وجودهما منذ خلقهما الله تعالى.

٢ـ وأنهما لا تفنيان، فلا يفنى عذاب النار على الكفار، ولا يفنى نعيم الجنة للمؤمنين، بل هما دائمان.

الأدلة على الجنة وتأبيد نعيمها: يدل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع:

فمن الآيات: قول الله تعالى" وَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً" (٢) وغيرها من الآيات ويأتي ذكر الدليل من السنة والإجماع.

وأما النار: فيدل على خلودها وعدم فناءها القرآن والسنة الثابتة المتفق على صحتها، وإجماع الأمة على ذلك، وهذه مسألة قطعية وليست اجتهادية كما يزعم بعض من المعاصرين. فمن الآيات القرآنية الدالة على بقاء النار واستمرار عذاب الكفار بلا انقطاع إلى ما لا نهاية له؛ قول الله عزوجل {إنَّ الله لَعَن الكافرينَ وأعدَّ لهم سعيرًا* خالدينَ فيها أبدًا لا يَجِدونَ وليًّا ولا

---

١ صحيح البخاري" (برقم ٦٥٣٥

(٢) النساء آية ٥٧

نصيرًا} (١)

فذكر لفظ التأبيد الدال على البقاء الدائم في النار. وقوله تعالى: {وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم} (٢) وقوله تعالى: {وما هُم بِخارجينَ منَ النارِ}

وقوله تعالى: {إنَّ الذين كفروا وظَلموا لم يكن اللهُ ليغفرَ لهم ولا ليَهديهُم طريقًا* إلا طريقَ جهنم خالدينَ فيها أبدًا وكان ذلكَ على الله يسيرًا} (٣).

وقوله تعالى: {كلّما خَبَتْ زِدناهُم سعيرًا} (٤)

وقد ذكر الامام تقي الدين السبكي في رسالته: « الاعتبار ببقاء الجنة والنار » الكثير من الأدلة.

وأما من الحديث: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود لا موت، ولأهل النار، يا أهل النار خلود لا موت» (٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا صار أهلُ الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيءَ بالموت حتى يُجعلَ بين الجنة والنار، ثم يُذبحُ، ثم يُنادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موتَ، يا أهل النار لا موتَ، فيزدادُ أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم" (٦)

وأما الإجماع: فنقله الكثير من علماء المسلمين قال الحافظ ابن حجر في الفتح

(١) الأحزاب آية ٦٤
(٢) هود آية ٣٩
(٣) النساء آية ١٦٨
(٤) الاسراء آية ٩٧
(٥) رواه البخاري
(٦) رواه البخاري ومسلم.

ما نصه: قال القرطبي: وفي هذه الأحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد، وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت، ولا حياة نافعة ولا راحة، كما قال تعالى: {لا يُقضى عليهم فَيَموتوا ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها} (١)، وقال تعالى: {كُلّما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها}، فمن زعم أنهم يخرجون منها، وأنها تبقى خالية، أو أنها تفنى وتزول؛ فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ وأجمع عليه أهل السنة. اهـ (٢)

أما من قال: إنه يزول عذابها ويخرج أهلها منها واحتجّ بما أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن بعض الصحابة من رواية الحسن، عن عمر أنه قال: "لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه "فجوابه ما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري {وهو منقطع} أ ـهـ. أي أن الحديث ضعيف لأنه منقطع السند. وفي العقائد لا يجوز الأخذ بالحديث الضعيف.

ثم قال الحافظ ابن حجر قلت: وهذا الأثر عن عمر لو ثبت حُمل على الموحدين.... أ ـهـ

أي أن عصاة المسلمين الموحدين الذين دخلوا النار؛ سيخرجون منها، فتفنى هذه الطبقة من طبقات النار. وممن ذكر الإجماع أيضا ابن حزم رحمه الله، و الامام تقي الدين السبكي في رسالته « الاعتبار ببقاء الجنة والنار » فقال ما نصه: فإن اعتقاد المسلمين أن الجنة والنار لا تفنيان، وقد نقل أبو محمد بن

(١) فاطر ١٣٦
(٢) فتح الباري (٤٢١/١١

حزم الإجماع على ذلك وأن من خالفه كافر بالإجماع، ولا شك في ذلك، فإنه معلوم من الدين بالضرورة، وتواردت الأدلة عليه. اهـ. وابن حزم نقل الإجماع على ذلك في كتابه مراتب الإجماع. (١)

وقال الإمام السعد التفتازاني في شرحه على العقيدة النسفية ما نصه: وذهب الجهمية إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما، وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، ليس عليه شبهة فضلاً عن الحجة. أهـ (٢)

وقد انحرف في ذلك طائفتان:

١-طائفة تعتقد أن النار تفنى.

٢-طائفة تعتقد أن مسألة فناء النار مسألة اجتهادية. فكلاهما بدعة ضلالة.

وأما الجنة فلم يقل أحد بفنائها إلا الجهم بن صفوان، فزعم أن النار والجنة تفنيان فكّفره المسلمون بهذا الاعتقاد الضال.

---

(١) مراتب الاجماع ٢٦٨
(٢) شرح العقائد النسفية ص١٧٠

الثاني عشر: الإيمان بالعرش:

أهل السنة والجماعة يؤمنون بالعرش كما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

والعرش هو سقف جميع المخلوقات وهو أكبرها حجماً، وله قوائم، ويحمله يوم القيامة ثمانية من الملائكة عليهم السلام.

من الأدلة: قال الله تعالى" إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (١).

ومعنى استوى على العرش: أي هيمن وعلا على العرش علو قهر وقدرة، فهو في ملك العلي العظيم، وتحت قهر القّهار وسلطانه عز وجل.

تنبيه: ثم هنا تفيد مطلق الجمع وليست للترتيب كما قال الآمدي: في قوله تعالى "فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون "فإن ثم ها هنا بمعنى الواو لاستحالة كون الرب شاهداً بعد أن لم يكن شاهداً". أ_هـ

وكذلك لانقول أن ثم في قوله تعالى "ثم استوى على العرش" للتراخي وأنه هيمن بعد أن لم يكن مهيمناً سبحانه وتعالى ،بل هي بمعنى الواو،والغرض هو الاخبار بأنه خالق ومهيمن عليه ،وليس أن الهيمنة حدثت لله عز وجل.فمادام أنه مهيمن على العرش وهو أعظم المخلوقات حجماً ؛فمن باب أولى أن يكون جميع ما دون العرش تحت قهر الله وسلطته ، ولذا خص الله العرش بالذكر لأن ذكر الهيمنة على الأقوى تكفي في الدلالة على الهيمنة على

---

(١) الأعراف آية : ٥٤

الأدنى ، لأن من هو مهيمن على أكبر المخلوقات؛فلا شك أنه مهيمن على ماهو أصغر منه حجماً. قال الامام ابن جرير الطبري شيخ المفسرين:في تفسيره لسورة البقرة في بيان معنى الاستواء في قوله تعالى" ثم استوى الى السماء"... فكذلك فقل : علا عليها علو ملك وسلطان ، **لا علو انتقال وزوال**. أ_هـ.

وتأتي(ثم)استئنافية بمعنى بداية جملة كما هو حال (واو) أي (واو) الابتداء،نقل ذلك الإمام السيوطي عن الفراء فقال :" **قال** (**الفراء**) **تقع (للاستئناف**). **فتكون جملة ثم استوى جملة جديدة وليست لترتيب وتراخي الاستواء بعد خلق السموات والأرض ،فيكون المراد هو الاخبار عن الخلق والهيمنة وليس حدوثها بعد أن خلق السموات والأرض** ،لأننا نعلم أن العرش مخلوق قبل السموات والأرض ،إذن فتصور أن ثم لا تأتي إلا بمعنى الترتيب والتراخي هو محض تحكم يخالف اللغة ،وهذا التحكم مجرد وسيلة لبعض المجسمة لمنع تفسير الاستواء بمعنى الهيمنة للزوم أن تكون الهيمنة حدثت بعد الخلق كما يفيده حرف العطف (ثم).**!وهذا الإلزام كله لاوجه له إلا في حالة أن ثم في اللغة لا تفيد إلا الترتيب والتراخي وقد تبين بطلان هذا الحصر** .

ويستفاد من هذا: أولاً: إثبات معنى العرش.

ثانياً: إثبات معنى الاستواء عند أهل السنة والجماعة.

ثالثاً: بيان سبب ذكر الاستواء على العرش من بين المخلوقات مع أن الله تعالى استوى أي هيمن على جميع المخلوقات.

رابعاً: بيان أن حرف العطف (ثم) في آيات الاستواء لا يعني الترتيب الزمني، والتراخي لأن العرش مخلوق قبل السموات والأرض، وهيمنة الله تعالى عليه بالفعل كانت منذ خلقه، وبالقدرة على الهيمنة عليه قديمة. قال تعالى" وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (١)

ويضاف العرش لله تعالى إضافة مخلوق إلى خالق فيقال: عرش الرحمن، كما نقول: الكعبة بيت الله أي فكما أن المسلم لا يفهم من قول: الكعبة بيت الله؛ أن الله _سبحانه _ له بيت يسكن فيه، فكذلك يجب عليه أن لا يفهم من قول: عرش الرحمن أنه عرش يجلس أو يستقر الله فيه كما يفهم المشبهة.

وللعرش قوائم كما قال رسول الله _ ﷺ _: "النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِ ذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ" (٢)

والله خلق العرش بعد خلق الماء، وكان العرش على الماء، ثم خلق السموات والأرض بعد خلق العرش، قال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} (٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غيره وَكَانَ عَرْشُهُ

---

(١)هود آية ٧
(٢) رواه البخاري ٢٤١٢ومسلم ٢٣٧٦
(٣) هود آية ٧

عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض... " [١] قال الله تعالى "الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به " [٢]

فدلت هذه الآية على أنه سبحانه منزه عن أن يكون في العرش. قال الامام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيرها في سورة غافر: دلت هذه الآية على أنه سبحانه منزه عن أن يكون في العرش، وذلك لأنه تعالى قال في هذه الآية: (الذين يحملون العرش) وقال في آية أخرى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) [٣]. ولا شك أن حامل العرش يكون حاملاً لكل من في العرش، فلو كان إله العالم في العرش لكان هؤلاء الملائكة حاملين لإله العالم، فحينئذ يكونون حافظين لإله العالم، والحافظ القادر أولى بالإلهية، والمحمول المحفوظ أولى بالعبودية، فحينئذ ينقلب الإله عبداً والعبد إلهاً، وذلك فاسد، فدل هذا على أن إله العرش والأجسام، متعال عن العرش والأجسام. اــهـ.

فأهل السنة يؤمنون بثبوت الاستواء لله تعالى، وأن معناه كما ورد في اللغة العربية الفصيحة الهيمنة أو يجزمون بانتفاء المعنى الباطل وهو الجلوس أو الاستقرار ويسكتون عن الخوض في بيان معناها.

الثالث عشر: الإيمان بالكرسي:الكرسي في عرف الناس هو المسند الذي يضعه الإنسان تحت القدمين غالباً لتستريح قدماه من التعب فهو: موضع القدمين كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، أي بالنسبة لعرف الناس.

---

(١) رواه البخاري ٢٨٦/٦
(٢) غافر آية ٧
(٣) الحاقة آية ١٧

أما الكرسي في النصوص الشرعية فاختلف فيه علماء أهل السنة من الصحابة وغيرهم على قولين:

القول الأول: فسره ابن عباس ــرضي الله عنهما ــ بأنه العلم أي وسع علم الله السموات والأرض. وإسنادها صحيح كما قال الحافظ ابن حجر وغيره.

وقد اختار هذا القول الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى عند تفسيره لآية الكرسي.

القول الثاني: لجمهور أهل السنة: أن الكرسي مخلوق أصغر من العرش وأكبر من السموات وهو تحت العرش قال الله تعالى "وسع كرسيه السموات والأرض".

تنبيه: قال الامام البيهقي: قد روينا أيضا في هذا عن ابن عباس وذكرنا أن معناه فيما يرى أنه موضوع من العرش موضع القدمين من السرير، وليس فيه إثبات المكان لله تعالى. اهـ فهذا معنى قول ابن عباس الكرسي موضع القدمين. وليس كما ظن بعض المشبهة أنه كرسي يضع الرب عليه قدميه، فهذا من كذبهم، وتغلغل التشبيه في قلوبهم، فلم تثبت كلمة قدميه ــ بإضافة الهاء ــفي أي حديث عن سيدنا رسول الله ــ ﷺ ــ ولا في أثر عن أحد من الصحابة ــرضي الله عنهم ــ، وإنما ورد عن ابن عباس، وأبي موسى الأشعري بيان أن الكرسي موضع القدمين، ولم يقولا قدمي الرب كما يزعم المشبهة، لكن لتعلق المجسمة بالتشبيه ظنوا أن الله سبحانه جالس على العرش وأن له سبحانه قدمين، وأنه يضعهما على كرسي تحت العرش!، وصفات الله تعالى لا تثبت إلا

بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة، وليس بالهوى والتشهي، فاعتقادهم هذا متفرع على قياس الخالق ـسبحانه ـ على المخلوق فأثبتوا بتخيلاتهم كل هذه الضلالات.

فلا بد أن يحذر المسلم من هذا الفهم المنحرف. **ولذا قال الحافظ السيوطي في تفسيره: هذا على سبيل الاستعارة، تعالى الله عن التشبيه ويوضحه ما أخرجه ابن جرير عن الضحاك قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم. أ ـ هـ**

مسألة الإيمان:

الإيمان لغة: هو مطلق التصديق ومنه قوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} فمعنى وما أنت بمؤمن لنا: أي لست بمصدق لنا.

والإيمان له أصل وكمال: فالإيمان الكامل: هو اعتقاد بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.كما قال سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ: "الإيمان بضع وستون شعبة... "وفي لفظ "... بضع وسبعون... "

فله جوانب ثلاثة إذا أتى بها العبد كان مؤمناً إيماناً كاملاً.

شرح الجهات الثلاث للإيمان الكامل:

أولاً: التصديق: **وهوأصل الإيمان،** الذي إذا زال خرج العبد من الإسلام بالكلية. ولذا ركز عليه علماء أهل السنة في مباحث العقيدة.

والتصديق شرعاً: هو الإذعان القلبي والقبول لكل ما جاء به رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعلم من الدين بالضرورة، إجمالاً في الإجمالي،

وتفصيلاً في التفصيلي.

فلا بد من الإذعان القلبي لما جاء به، والقبول له، وليس المراد وقوع نسبة الصدق في القلب من غير إذعان ولا قبول، لأن هذا يلزم منه الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون نبوته ورسالته ـ ﷺ ـ، مع جحده لها وعدم إذعانهم كما قال تعالى:"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" (١)

وقوله تعالى: "يعرفونه كما يعرفون ابناءهم " (٢). ومع هذه المعرفة لايصدقون تصديقاً بإذعان وقبول.

والتصديق القلبي هو أصل الإيمان الذي لا يسقط أبداً لأي سبب من الأسباب، فمن كذّب أو شكّ فهو كافر.

ثانياً: الإقرار باللسان: أي نطق الكافر بالشهادتين للقادر على النطق.

وهو شرط في الحكم بأنه مسلم، فمن لم ينطق بالشهادتين، ولو كان مصدقاً مذعناً بقلبه غير جاحد ولكن لم ينطق بالشهادتين بدون سبب ظاهر؛ فهو غير مسلم، بل يعامل معاملة الكافر بإجماع أهل السنة الأشاعرة وغيرهم، وإذا مات فلا يغسّل ولا يكفّن ولا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين ولا تجرى عليه أحكام المسلمين. وأما في الآخرة فإذا كان مصدقاً بقلبه، ولم ينطق لسانه بالشهادتين. فاختلف أهل السنة هل يكون كافراً أو مؤمناً؟ فجمهور الأشاعرة يقولون: نعامله في الدنيا معاملة الكافر لأننا لا نعلم إلا الظاهر، وأما العليم الخبير ـعز وجل ـ فهو أعلم بالبواطن فإذا كان مؤمناً مذعناً بقلبه فهو

(١) النمل آية ١٤
(٢) القرة آية ١٤٦

مؤمن ناج في الآخرة.

وقال الماتريدية وبعض الأشاعرة: هو كافر حتى في أحكام الآخرة، لأن النطق بالشهادتين شرط لصحة الإيمان. فأصل الإيمان على هذا القول هو التصديق بالقلب مع النطق بالشهادتين.

والخلاف في هذه المسألة من فروع العقيدة الاجتهادية، ولا يترتب عليه أي شيء في أحكام الدنيا، فمن لم ينطق بالشهادتين، من غير عذر يمنعه كالأخرس، فهو كافر بالإتفاق، وإنما الخلاف في نجاته في الآخرة، فبعض أهل السنة قال ينفعه التصديق والإذعان القلبي، لأن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وبعض أهل السنة قال لا ينفعه في الآخرة.

مثال:رجل كافر قرأ في كتاب عن الله تعالى وصفاته وأنه يجب الإيمان برسول الله ــصلى الله عليه وسلم ــولم يقرأ عن وجوب النطق بالشهادتين، وآمن بأنه لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله ــ ﷺ ــ، ولم يطلب أحد منه النطق بالشهادتين، ثم عاش ومات على ذلك.

فعند أهل السنة من جمهور الأشاعرة هو من المؤمنين في الآخرة، أما في الدنيا فنعامله معاملة الكافر فلا يصلى عليه، ولا يدفن في قبور المسلمين، وغير ذلك من الأحكام، لأننا لا نعلم بإيمانه والأصل أنه كافر فيعامل معاملة الكافر.

حكم العاجز عن النطق بالشهادتين:

الأخرس لا يطالب بالنطق، لعدم تمكنه من ذلك، وكذلك من اخترمته المنية قبل النطق من غير تراخ فهو مؤمن عند الله، بخلاف من تمكن وفرّط.

حكم من يأبى النطق بالشهادتين:

الكافر الذي طلب منه النطق بالشهادتين فأبى النطق بهما فهو كافر في الدنيا والآخرة بالإجماع.

الجانب الثالث: العمل: العمل شرط لكمال الإيمان الواجب باتفاق أهل السنة، وليس لصحة الإيمان فلا يدخل في أصل الإيمان.

فمن ترك الأعمال تكاسلاً أوترك شيئاً منها تكاسلاً فليس بكافر، وكذا من ارتكب شيئاً من الذنوب الكبائر فليس بكافر، ولكنه فاسق إذا لم يكن مكذباً جاحداً إلا تارك الصلاة كسلاً ففيه خلاف والجمهور على أنه مؤمن خلافاً للحنابلة.

أما الخوارج فيجعلونه شرطاً لصحة الإيمان فمن ترك ولو عملاً واحداً كالصيام الواجب تكاسلاً فهو كافر في معتقدهم وخالد في النار، فكيف بمن يترك الأعمال؟!

تنبيه:الفرق بين عقيدة أهل السنة وعقيدة المرجئة هو أن أهل السنة يقولون تارك الأعمال مسلم عاص فاسق فإن مات بلا توبة فهو متوعد بعذاب الله تعالى إن شاء عذبه بعدله وإن شاء غفر له بفضله فإن دخل النار فيعذب فيها إلى أمد ولا يخلد في العذاب، بينما المرجئة يقولون: تارك الأعمال مسلم كامل الإيمان وناج في الآخرة. فلزم من كلامهم أن إيمان العاصي الذي من أفسق الفساق كإيمان أولياء الله تعالى.!

وبهذا يتبين لك وسطية أهل السنة بين الخوارج قديماً وحديثاً وبين

المرجئة. وبه تعلم أن نبز خوارج العصر لأهل السنة بالإرجاء هو لعدم موافقتهم لهم في منهج الغلو في التكفير.

ذكر أدلة أهل السنة:

قال الله تعالى "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " فالآية صريحة في مغفرة كل الذنوب التي دون الشرك، فترك العمل كسلاً ليس من الشرك.

وقال سيدنا رسول الله ــ ﷺ ــ: "يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنْ الْخَيْرِ ذَرَّةً. (١)

وفي الحديث الطويل "فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، ولَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا **لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**" (٢)

فهذه الأحاديث قطعية الدلالة على أن تارك العمل كسلاً ليس بكافر، بل يخرج من النار إن دخلها.

قال الإمام النووي ــ رحمه الله تعالى ــ "... ومثله الرواية الأخرى " يقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين

(١) رواه البخاري (٦٨٦١) ومسلم (٢٨٥) .
(٢) رواه البخاري .

فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط "وفي الحديث الآخر "لأخرجن من قال لا اله الا الله "قال القاضي رحمه الله: فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان، وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم، وانما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شئ زائد على مجرد الإيمان، وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم دليلاً عليه، وتفرد الله ــعز وجل ــبعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الايمان. أ–هـ (١)

وعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ ﷺ ــ: " مَنْ مَاتَ **وَهُوَ يَعْلَمُ** أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ " (٢). فاكتفى بالعلم بذلك أي التصديق بذلك مع الإذعان.

تنبيهات مهمة: أولاً: لا يزول الإيمان إذا تكلم بالكفر عند الإكراه الملجيء بشرط أن يكون القلب كارهاً للكفر متيقناً بالإيمان، كما قال تعالى "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان " (٣)

وكما حصل لسيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنه حيث هُدد بالقتل، أو قول الكفر فتلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان مع بغضه للكفر، وكانوا قد قتلوا أمه وقتلوا أباه فعلم أنهم يقتلونه.

ثانياً: لا يزول الإيمان مع الإكراه على فعل الكفر لعموم الآية مادام أن القلب مطمئن بالإيمان مع بغضه للكفر كما قال جمهور العلماء رحمهم الله تعالى.

---

(١) شرح مسلم للنووي [٣ / ٣١]
(٢) رواه مسلم
(٣) النحل آية ١٠٦

ثالثاً: أما التصديق القلبي، فلا يمكن أن يسقط أبداً، فإذا اعتقد بقلبه أي أمر كفري انتقض إيمانه مباشرة، لهذا فأصل الإيمان هو التصديق والإذعان القلبي.

فائدة: الإيمان ينتقض بالاعتقادات، وكذلك بالأقوال، وبالأفعال الكفرية، لأنها دالة على عدم التصديق القلبي.

ولمعرفة الأقوال، والأفعال، والاعتقادات الكفرية التي تناقض الإيمان يرجع المسلم إلى كتب الفقه في مذاهب أهل السنة الأربعة في باب الردة.

زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان يزيد وينقص، وهو قول جمهور أهل السنة الأشاعرة و الماتريدية، ومالك والشافعي وأحمد.كما قال الامام الصاوي رحمه الله تعالى في شرحه لجوهرة التوحيد.

جاء في شرح المواقف:(والحق أن التصديق يقبل الزيادة والنقصان).وقال الإمام الباجوري: لأن الأصح أن التصديق القلبي يزيد وينقص بكثرة النظر، ووضوح الأدلة، وعدم ذلك، ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريه الشبه، ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى يكون في بعض الأحيان أعظم يقيناً وإخلاصاً منه في بعضها، فكذلك التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين. أــ هـ[1]

وقال الإمام الصاوي: تقدم أن أعمال الجوارح من كمال الإيمان، فمن صدق بقلبه، ونطق بلسانه ولم يعمل بجوارحه **فهو مؤمن ناقص الإيمان**، فلما كان له

---

[1] إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيدص١٣١

مدخلية في كمال الإيمان، شَرع – أي صاحب الجوهرة – يتكلم على زيادته بالعمل، ونقصه بنقصه. أ_ هـ[١]

وقوله الأعمال من كمال الإيمان: أي كماله الواجب؛ لأنها فعل الواجبات، وترك المحرمات التي لا تنقض الإيمان بالكلية. وتقدم أن من يترك الطاعات، ويفعل الذنوب التي لا تنقض الإيمان، ولا تخرج من الإسلام هو فاسق وليس بكامل الإيمان كما يقول المرجئة.

الأدلة من النقل والعقل الصحيح على زيادة الإيمان ونقصه:

أما النقل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) وغيرها من الآيات.

أما العقل: فلأنه يلزم عليه مساواة إيمان المنهمكين في الفسق والمعاصي لإيمان الأنبياء والملائكة _عليهم السلام _، واللازم باطل فكذا الملزوم.

[١] في شرحه لجوهرة التوحيد ص١٣٤
(٢) [الأنفال:٢]

اعتقاد أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم:

أدخل العلماء هذه المسألة في المباحث العقدية؛ رداً على الشيعة الذين جعلوها من أصولهم الاعتقادية وطعنوا في الصحابة رضي الله عنهم، ورداً على الخوارج الطاعنين في بعض الصحابة رضي الله عنهم. وقد أفرد أهل السنة لها مؤلفات خاصة بعرض شامل لمجمل ما جاء في هذه المسألة، مبينة بذلك فضل الصحابة من خلال ما جاء في النصوص الشرعية، وما أجمع عليه علماء أهل السنة، من عدم سبهم، أو الانتقاص من قدرهم، لما لهم من سابقة الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ترتيب الصحابة في الفضل: أفضل الصحابة سيدنا أبوبكرالصديق، ثم سيدنا عمر الفاروق _رضي الله عنهما_ باتفاق أهل السنة، ثم سيدنا عثمان، ثم سيدنا علي _رضي الله عنهما _عند جمهور أهل السنة، وبعضهم يقدّم سيدنا علي على سيدنا عثمان رضي الله عنهما.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم في ترتيب أفضلية الصحابة: قال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور، ثم بعد الخلفاء الأربعة تمام العشرة المبشرين بالجنة، ثم من شهد غزوة بدر، ثم أحد، ثم أهل بيعة الرضوان أصحاب الشجرة، وممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار الذين بايعوا بيعة العقبة، وكذلك السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وهم من صلى إلى القبلتين في قول ابن المسيب وطائفة،

وفي قول الشعبي أهل بيعة الرضوان. أ-هـ (١)

والخلافة الراشدة كانت ثلاثين سنة بعد سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ كما في الحديث الصحيح، فكان آخر الخلفاء الراشدين هو سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه. قال الإمام ابن حجر الهيتمي ـرحمه الله ـ: هو آخر الخلفاء الراشدين بنصِّ جَدِّه ـصلى الله عليه وسلم ـ، ولي الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام بها ستة أشهر وأياماً، خليفة حق، وإمام عدل وصدق؛ تحقيقاً لما أخبر به جدّه الصادق المصدوق بقوله: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة "، فإن تلك الستة الأشهر هي المكملة لتلك الثلاثين... فكانت خلافته منصوصاً عليها وقام عليها إجماع من ذكر، فلا مرية في حَقِّيتها. أ ـهـ[٢]

اعتقاد أهل السنة فيما جرى من فتنة بين الصحابة:

قال القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) في كتابه "الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به": "ويجب أن يعلم: أن ما جرى بين أصحاب النبي ـ ﷺ ـورضى عنهم من المشاجرة نكف عنه، ونترحم على الجميع، ونثني عليهم، ونسأل الله تعالى لهم الرضوان، والأمان، والفوز، والجنان. ونعتقد أن علياً ـعليه السلام ـأصاب فيما فعل وله أجران. وأن الصحابة ـرضي الله عنهم ـ إنما صدر منهم ما كان باجتهاد فلهم الأجر، ولا يفسقون ولا يبدعون... أ ـهـ (٣)

---

(١) أصول الدين للبغدادي ص٣٠٤

[٢] الصواعق المحرقة على أهل الرفض والزندقة ٣٩٧/٢

(٣) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص٦٧

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ــرحمه الله تعالىــ في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد": "اعلم أن للناس في الصحابة والخلفاء إسراف في أطراف، فمن مبالغ في الثناء حتى يدعي العصمة للأئمة، ومنهم متهجم على الطعن بطلق اللسان بذم الصحابة. فلا تكن من الفريقين، واسلك طريق الاقتصاد في الاعتقاد، واعلم أن كتاب الله مشتمل على الثناء على المهاجرين والأنصار وتواترت الأخبار بتزكية النبي صلى الله عليه وسلم إياهم بألفاظ مختلفة.......... وما من واحد إلا وورد عليه ثناء خاص في حقه يطول نقله، فينبغي أن تستصحب هذا الاعتقاد في حقهم ولا تسيء الظن بهم. أـــ هـ (١)

ولا يعني هذا عصمتهم من الذنوب والأخطاء وهذا بإجماع أهل السنة.

والصحابة قبل فتح مكة أفضل ممن أسلم بعد الفتح. ولكن كلهم وعدهم الله الحسنى. كما قال تعالى في سورة الحديد " لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "

فكلا الفريقين موعود بالحسنى، ولكن من أسلم قبل الفتح أعظم درجة ممن أسلم وقاتل بعد الفتح في سبيل الله تعالى. والملك بدأ في عهد معاوية ــرضي الله عنه ــوكان من الصحابة رضي الله عنهم. وأما ملوك بني أمية **بعده** فليس فيهم صحابي وأفضلهم التابعي الولي الصالح: عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى.

(١) لاقتصاد في الاعتقاد ص٧٩.

وهنا تنبيهان لا بد منهما في هذا الزمن:

التنبيه الأول:يزيد بن معاوية ليس صحابياً وهذا بإجماع علماء المسلمين، وكانت ولادته في عصر سيدنا عمر رضي الله عنه أو في عصر سيدنا عثمان ــرضي الله عنهــ، على الخلاف في ذلك. ولم يكن يزيد رجلاً مرضياً في دينه، وجمهور أهل السنة أنه فاسق، وبعضهم أجاز لعنه وبعضهم توقف في لعنه، والراجح عند أكثرهم القول بفسقه وعدم لعنه. ولقد استخلفه والده معاوية ــرضي الله عنهــ على أن يسوس الناس بالعدل وخشي أن ينشق اجتماع المسلمين لو جعلها في غيره، ولعله تفرس فيه أن يشق عصا المسلمين ويستبيح الدماء لو استخلف غيره، فاستخلفه منعاً لفساد أعظم باجتهاد منه لا بمحض الهوى، فهذا هو الظن بالصحابة رضي الله عنهم. ولكن يزيد غلبه حب الدنيا والاستطالة على عباد الله حتى الصالحين منهم، وحتى على الصحب الكرام رضي الله عنهم، ولم يكن الأمر كما أراد معاوية رضي الله عنه. والله أعلم.

فحكم يزيد ثلاث سنوات تقريبا قتل جيشه في السنة الأولى الصحابي الجليل سيدنا الحسين رضي الله عنه، وأربعة من أولاد سيدنا علي ــرضي الله عنه ــ والكثير من آل بيت رسول الله ــصلى الله عليه وآله وسلم ــ. وفي السنة الثانية استباح المدينة المنورة، وقتل أهل المدينة المنورة وفيهم من الصحابة، والتابعين، وهم شهداء الحرة. وفي السنة الأخيرة مات والمنجنيق ينصب لرمي الكعبة المشرفة. فتلك من أعماله الشنيعة الثابتة في عصره.

قال الحافظ بن حجر العسقلاني عندما سئل عن حكم لعن يزيد؟ فقال: أما

اللعن فنقل فيه الطبري المعروف بالكيا الهراسي الخلاف في المذاهب الأربعة في الجواز وعدمه فاختار الجواز. ونقل الغزالي الخلاف واختار المنع.وأما المحبة فيه والرفع من شأنه فلا تقع إلا من مبتدع فاسد الاعتقاد... أ_هـ (١)

التنبيه الثاني: سيدنا الصحابي الجليل الحسين بن علي ـــرضي الله عنه ـــ لم يبايع أصلاً ليزيد بن معاوية كما يزعم بعض الناس في زماننا ولذا فلا يعتبر من الخارجين عليه.

حكم من سب الصحابة رضي الله عنهم:

هذه المسألة يبحثها العلماء في رجل من غير الصحابة فسب أو أبغض الصحابة فلهذه المسألة حالات:

الحالة الأولى: أن يكفّر أو يسبَّ جميع الصحابة ـــرضي الله عنهم ـــفهذا كافر بالإجماع. كما قال الإمام السبكي رحمه الله تعالى.

الحالة الثانية: أن يسب بعض الصحابة ـــرضي الله عنهم ـــلأجل مصاحبتهم لسيدنا رسول الله ـــ ﷺ ـــفهذا كافر أيضا، ولو كان بغضه لرجل واحد فقط من الصحابة لأجل أنه مصاحب لسيدنا رسول الله ﷺ. جاء في فتاوى الإمام السبكي رحمه الله تعالى (ولا شك أنه لو أبغض واحدا منهما [أي أبي بكر وعمر] لأجل صحبته فهو كفر، بل من دونهما في الصحبة إذا أبغضه لصحبته كان كافراً قطعاً) ا_ هـ. (٢)

---

(١) أجوبة الإمام ابن حجر العسقلاني المطبوعة مع كتاب الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع ط دار الكتب العلمية ١٩٩٧ وانظر كلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في احياء علوم الدين ج ٣ ص ١٢٥

(٢) فتاوي السبكي ٢ / ٥٧٥

الحالة الثالثة: أن يسب أحداً من الصحابة رضي الله عنهم لا لأجل الصحبة، وإنما لأجل أمر من أمور الدنيا أو لظنه أنه فعل فعلاً مخالفاً للشريعة. فهذا مبتدع فاسق وليس بكافر.

وسبب بدعته أنه وقع فيمن زكاهم القرآن الكريم ولفضل الصحابة في نشر الدين. وهذا قول جمهور علماء أهل السنة خلافاً لمن قال بكفره.

مسألة الوقوع في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

إن كان الوقوع في السيدة عائشة ـــرضي الله عنهاــ بقذف في عرضها فهو كفر، لأنه تكذيب للقرآن الكريم، وأما إن كان في غيرها من أمهات المؤمنين فهو أيضاً كفر على الصحيح.

جاء في فتاوى الإمام السبكي رحمه الله تعالى: (وأما الوقيعة في عائشة والعياذ بالله فموجبة للقتل لأمرين:

أحدهما:أن القرآن يشهد ببراءتها فتكذيبه كفر والوقيعة فيها تكذيب له.والوقيعة فيها تنقيص له وتنقيصه كفر.

والثاني: أنها فراش النبي عليه الصلاة والسلام.

وينبني على المأخذين سائر زوجاته فإن عللنا بالأول لم يقتل من وقع في غير عائشة من أمهات المؤمنين، وإن عللنا بالثاني؛ قتل لأن الكل فراش النبي وهو الأصح على ما قاله بعض المالكية.

وإنما لم يقتل النبي ــ ﷺ ــ قذفة عائشة لأن قذفهم كان قبل نزول القرآن فلم يكن تكذيبا للقرآن.ولأن ذلك حكم ثبت بعد نزول الآية فلم ينعطف حكمه

على ما قبلها) اـ هـ (١)

عقيدة أهل السنة في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أهل السنة يحبون آل البيت، ويكرمونهم اكراماً لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ فلكرمه كرمت ذريته، ولشرفه شرف آل بيته، وكانت مودتهم ومحبتهم من شريعة المسلمين، رعوها على مر السنين كما رعوا باقي أحكام الشريعة. وأقاموها كما أقاموا بقية أحكام الدين.

من هم آل البيت؟ للمسألة ثلاث جهات:

الأولى:من حرم الله عليهم أخذ الصدقة: عن زيد بن أرقم قال: ((قام رسول الله ـ ﷺ ـ يوما خطيباً فينا بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل، وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله ـعز وجل ـ فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، وقال: وأهل بيتي: أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين بن سبرة: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. " (٢).

وقد ثبت أن النبي ـ ﷺ ـ قال: " إن الصدقة لا تحل لآل محمد "ففي

١ فتاوى الإمام السبكي رحمه الله تعالى ٥٩٢/٢
(٢) رواه مسلم ج٤/ص١٨٧٣

الحديث نص صريح على بيان أن أهل البيت هم من حرم الله تعالى عليهم الصدقة.

الجهة الثانية: من نزلت فيهم آية التطهير: وهم السادة الأربعة سيدنا علي، والسيدة فاطمة الزهراء، والحسن، والحسين رضي الله عنهم بمعية سيدنا رسول الله ــ ﷺ ــ وهذا بالإتفاق.وكذلك زوجات رسول الله ــ ﷺ ــ أمهات المؤمنين يدخلن في ذلك على الصحيح.كما قال الله تعالى " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " (١) فأول الآيات خطاب لأمهات المؤمنين ولذا فهن يدخلن في ذلك. والله أعلم.

وأما من السنة الصحيحة الصريحة عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ــ ﷺ ــ غداة وعليه مرط مرحل[٢] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" (٣) فهؤلاء الخمسة هم أصحاب الكساء.جاءمن طرق عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: في بيتي نزلت "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت" وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله ــ ﷺ ــ بكساء كان عليه ثم قال: "هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس

---

(١) الأحزاب آية ٣٣

[٢])قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم : (وعليه مرط مرحل) هو بالحاء المهملة . ونقل القاضي أنه وقع لبعض رواة كتاب مسلم بالحاء ، ولبعضهم بالجيم . والمرحل بالحاء هو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل ، وبالجيم عليه صور المراجل وهي القدور . وأما المرط فبكسر الميم ، وهو كساء ، جمعه مروط ، وسبق بيانه مرات .

(٣) صحيح مسلم ج٤/ص١٨٨٣

وطهرهم تطهيراً". [١]

الثالثة: من جهة السبب:

فأما آل محمد ﷺ من جهة السبب فهم كل مؤمن تقي، سواء كان من أهل بيته نسباً، أو من غيرهم من المسلمين. قال رسول الله ﷺ " إن أوليائي إلا المتقون أين كانوا ومن كانوا" [٢] وفي الحديث "آل محمد كل تقي" [٣]

بعض النصوص في فضائل أهل البيت:

الحديث الأول: عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله تعالى: " قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى "قال: قربى رسول الله ـ ﷺ ـ". [٤]

الثاني: عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أذكركم الله في أهل بيتي" [٥]

الثالث: عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما" [٦]

الرابع:عن جابر رضي الله عنه أنه سمع عمربن الخطاب ـرضي الله عنه ـ يقول للناس حين تزوج بنت علي رضي الله عنه: ألا تهنئوني! سمعت رسول الله ـ

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه.
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه الطبراني في الأوسط ٣٣٣٢ والصغير ٣١٨ قال السخاوي وَأَسَانِيدُهَا ضَعِيفَةٌ ، وَلَكِنَّ شَوَاهِدَهُ كَثِيرَةٌ.
(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه وابن جرير الطبري في تفسيره.
(٥) أخرجه مسلم، والترمذي، والنسائي
(٦) أخرج الترمذي وحسنه، والحاكم

ﷺ ــ يقول: "ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب،إلاسببي ونسبي " (١)
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي). (٢) ومما ورد في فضل سيدنا علي رضي الله عنه: عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: "والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ــ ﷺ ــ، إلي أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق" (٣)

وغيرها من الأحاديث الكثيرة في فضله وفضل السبطين وأمهما سيدة نساء الجنة رضي الله عنهم أجمعين. ومن ذرية الحسن أو الحسين رضي الله عنهما يكون المهدي المنتظر في آخر الزمان. ومن أراد الزيادة فعليه برسالة إحياء الميت بفضائل آل البيت للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى.

تلخيص عقيدة أهل السنة في آل البيت: أهل السنة يوجبون محبة أهل بيت رسول الله ــ ﷺ ــ ويجعلون ذلك من محبة رسول الله ــ ﷺ ــ، ويتولونهم جميعاً. **فأهل السنة يتبرؤون من طريقة النواصب الجافين لأهل البيت، والروافض الغالين فيهم**. وأهل السنة يعرفون ما يجب لهم من الحقوق، فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس في الغنيمة، والخمس في الفيء، وأمر بالصلاة عليهم تبعاً للصلاة على النبي ــ ﷺ ــ في كل صلاة، وتوقيرهم، والأدب معهم. وأهل السنة يتولون أزواج رسول الله ــ ﷺ ــ أمهات المؤمنين ويترضون عنهن،

(١) أخرج الطبراني في الأوسط
(٢) و أخرج الطبراني
(٣) رواه مسلم والنسائي

ويعرفون لهن حقوقهن، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة.

وأهل السنة لا يعتقدون عصمة آل البيت، بل يعتقدون أنهم كسائر المسلمين تقع منهم الذنوب كما تقع من غيرهم.

وأهل السنة يعتقدون أن آل البيت تجري عليهم أحكام الله تعالى الشرعية فتقطع يد السارق ويرجم الزاني ويقتص من القاتل. ولكن يبقى لهم محبتهم واحترامهم لقرابتهم ما داموا مسلمين.

أهل السنة يعتقدون أن القول بفضيلة أهل البيت لا يعني تفضيلهم في جميع الأحوال، وعلى كل الأشخاص، بل قد يوجد من غيرهم من هو أفضل منهم لاعتبارات أخرى، ولذا فمن عقيدة أهل السنة أن سيدنا الصدّيق أفضل الصحابة رضي الله عنهم، وهكذا فتجد أن الأولياء الصالحين أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام، ومن أراد أن يفهم هذا جيداً فليتأمل في تفضيل سيدنا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على سيدنا علي رضي الله عنه بإجماع أهل السنة مع أن كل الثلاثة من أولياء الله تعالى، وسيدنا علي من آل البيت رضي الله عنهم. فهذا حق آل البيت على المسلمين.

تنبيه:الصالحون من أهل البيت يعلمون أن هذا من فضل الله عليهم لا كسب لهم فيه بل هو محض نعمة وفضل، فألزموا أنفسهم التواضع لله تعالى أدباً معه، وتجنبوا الفخر والخيلاء التي تبعدهم عن رضا الله تعالى ورضا رسوله صلى الله عليه و آله وسلم، ولم يغتروا بمدح المادحين.فبهذا المنهج القويم شكروا نعمة المنعم العظيم.

الولاء والبراء: الولاء أو الموالاة هي: المحبة والنصرة.

أولاً: موالاة المؤمنين: ولها أصل وكمال. فأصلها شرعاً: محبة المؤمنين لأجل دين الإسلام. وضد ذلك بغضهم لأجل دينهم. فمن أبغض مسلماً لكراهية الإسلام؛ فقد وقع في الكفر المخرج من الملة.

وكمال الولاء يحصل بنصرة المؤمنين التي يتحقق بها الفرض الشرعي الذي أمر الله تعالى به، وهذا فرض.

ومن مقتضى موالاة المؤمنين: أولاً: يجب على المؤمن أن يحب المؤمنين لله تعالى لإسلامهم وإيمانهم بالله تعالى ورسوله ـ ﷺ ـ ، لا لأجل الدنيا. ولا تكن المحبة لشيء من حظوظ النفس بل تكون تدينا يتعبد لله تعالى به وكلما زاد الإنسان من الله تعالى تقرباً كانت محبته له أعظم.

ثانياً: نصرة المسلمين والتعاون معهم بالنفس والمال فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم قال الله تعالى" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض". (١) وقال تعالى "وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق". (٢)

وقال سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ: " مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " (٣) وقال ـ ﷺ ـ " المسلم أخو المسلم، لا يحقره ولا يخذله، ولا

---

(١) المائدة آية ٥١
(٢) الأنفال ٧٢
(٣) رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦

يسلمه، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه " [١]

ثالثاً:توقيرهم واحترامهم والصدق معهم: قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون *. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم" [٢]

فهذه من صور موالاة المؤمنين.

موالاة الكفار: موالاة المسلم للكافر على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يكون المسلم راضياً بالكفر، ويناصر الكافر لأجل دينه الكفري، أو لأجل كراهة دين الاسلام فهذا كفر فيستحيل أن يبقى مؤمنا مع كونه بهذه الصفة. قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) [٣] وقال تعالى "ومن يتولهم منكم فإنه منهم" وقيده الله تعالى بالموالاة لأجل الدين فقال عز وجل" **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الحجرات: آية ١١_١٢
(٣) [الممتحنة : آية ١

فأولئك هم الظالمون". [(١)]

القسم الثاني: مجرد المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر، مع بغضه للكفر وعدم مناصرته فيما يخالف الدين الاسلامي القويم، فذلك غير ممنوع بل هو جائز شرعاً.قال تعالى "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " [(٢)]

ويدل عليه أيضاً حديث حلف الفضول .

القسم الثالث: قسم هو كبيرة عظيمة من كبائر الذنوب: وهو مناصرة الكافر على المسلم لأجل الدنيا لا لأجل الدين، بمعنى معاونتهم، ونصرتهم إما بسبب القرابة، أو العصبية الوطنية، أو القبلية، مع اعتقاد أن دينهم باطل والإقرار بأن دين الإسلام هو الدين الحق، ومحبة الإسلام وبغض الكفر، فهذا لا يوجب الكفر إلا أنه كبيرة من كبائر الذنوب.

ومن الناس من قال أنه كفر لأن ذلك علامة على أنه يحب الكفر ولا يحب الإسلام، **وهذا الكلام باطل** لأن نطقه بالشهادتين صريح في إسلامه وليس هذا العمل الظاهر بصريح في الردة عن الإسلام ولو كان صريحاً في الردة لكفر سيدنا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما أخبر الكفار بمسير رسول الله ـــ ﷺ ـــإليهم وكان غرضه من ذلك لمصلحة دنيوية، فناصرهم بهذه النصيحة، وأرسل إليهم رسالته المشهورة. **فلا بد من التنبه للقرائن الظاهرة وهي قرينتان:**

---

(١) الممتحنة آية ٩

٢ الممتحنة: ٨

الأولى: أن غرضه الظاهر من المناصرة للكافر هو غرض دنيوي وليس لأجل محاربة دين الاسلام.

الثانية: أعمال الإسلام الظاهرة لنا: ومن أعظمها النطق بالشهادتين فهو الميزان الذي يتعامل به المسلم مع الناس فكيف بالذي يصلي أو يعمل من الأعمال الشرعية التي هي أهم الدلائل القطعية على إسلامه، فإنه لا يعارض بالدلائل المحتملة لكفره، فإن نصرته للكفار أمر يحتمل الرضا بكفرهم وبغض الإسلام، ويحتمل أنه يحب الإسلام وأهله وأنه فعل المناصرة لأجل دفع مفسدة أعظم عن المسلمين، أو حتى لو فعله لشهوة من شهوات الدنيا مع حبه للإسلام والمسلمين. والقرائن النطقية الصريحة شاهدة على إسلامه يقيناً واليقين لا يزول بالشك. ويشهد لهذا المعنى ما صح عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل المشهور.... قال قائل ممن اجتمعوا عند رسول الله ـ ﷺ ـ: أين مالك بن الدخشن؟ فقال بعضهم ذلك منافق لا يحب الله ورسوله،. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تقل ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله» قال: الله ورسوله أعلم، قال فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين؟!

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله». [1]

فألغى رسول الله ـ ﷺ ـ دلالات احتمال الكفر التي ذكرها الصحابي وهي نصح مالك بن الدخشن وموالاتهم التي يرونها، وردهم إلى العلامة

---

(١) رواه البخاري ومسلم

القطعية الظاهرة التي هي عنوان عصمة الدين والعرض والنفس والمال.

وهذا من باب حسن الظن، وهو الأحوط للمسلم عند حكمه على غيره من المسلمين، أما في نفسه فيجب على المسلم أن يحذر كل الحذر من مناصرة الكافرين على المسلمين، لأجل الدنيا، فإن خطره عظيم على الدين. وقد ذكر أن مناصرة المشركين لمجرد غرض دنيوي ليست كفرًا استنادًا إلى قصة حاطب رضي الله عنه الإمام القرطبي، حيث قال: (من كثر تطلعه على عورات المسلمين، وينبه عليهم، ويعرف عدوهم بأخبارهم، لم يكن بذلك كافرًا، **إذا كان فعله لغرض دنيوي، واعتقاده على ذلك سليم،** كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد، ولم ينو الردة عن الدين). (١)

وقال الإمام ابن جرير الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله: " ومن يتولهم منكم فإنه منهم " ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين، فإنه منهم. يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، **وإذا رضيه ورضي دينه،** فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه. ا_هـ. (٢)

ومفهوم ذلك أن من نصرهم لأمر دنيوي، وليس لأجل الرضا بالكفر فلا يكفر، وإن كان مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب.

وكذلك يجب موالاة ومحبة أهل السنة والجماعة والبعد عن أهل البدع والزيغ والضلالة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي لسورة الممتحنة

(٢) تفسير الطبري آية ٥١ من تفسير سورة المائدة

أنواع البدعة: البدعة على نوعين:

النوع الأول: بدعة في العقيدة: وهي المتعلقة بأصول العقيدة التي ذكرناها في مبحث الإلهيات والنبوات والسمعيات وما يلحق بها.

وهي على قسمين:

القسم الأول: بدعة كفرية كإنكار وجود الله تعالى، أو تكذيب الرسل _عليهم السلام _ أو القرآن الكريم أو غير ذلك، أو القول بقدم العالم، أو قدم نوع المخلوقات، أو القول بفناء الجنة والنار أو غيرها.

وبدعة سب أحد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ونحو ذلك لأجل أنهم صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وناصروه، لأنه يعود على القدح في سيدنا رسول الله _صلى الله عليه وسلم _وهو أمر اعتقادي.

القسم الثاني: بدعة فسق: كبدعة تعطيل صفات المعاني، أي القول بأن الصفات هي عين الذات وليست زائدة على الذات، وبدعة الجهوية أي اعتقاد أن الله تعالى في جهة فوق العرش، وبدعة إنكار رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة، وبدعة إنكار الشفاعة لأهل الكبائر.

النوع الثاني: البدع العملية: وهي خاصة بالعمل الظاهر وهي على قسمين:
القسم الأول: بدعة محرمة: كبدعة الطواف حول القبور، وبدعة المسح على الخرق الخفيفة التي تُسمَّى الشرَّابات فهي بدعة محرمة، لا تصح بها الطهارة والصلاة.

القسم الثاني: بدعة مكروهة: كبدعة الزيادة على ثلاث غسلات في وضوء

الوجه أو القدمين، ونحوها.

وقد تختلف المذاهب في بعض المسائل العملية هل هي بدعة أم غير بدعة. وتختلف في كونها مكروهة أو محرمة. فهذا يعلم بالرجوع للمذاهب الفقهية.

تنبيه: جحد الأمور العملية المتواترة يرجع على النوع الأول من البدع وهو البدع العقدية لأنه تكذيب للرسول، ﷺ.

مسألة التوسل والاستغاثة

رغم أن هذه المسألة من مسائل الفقه، وليست مسألة عقدية، ولكن لعموم الابتلاء بآثار الجهل بها، وما ترتب على ذلك من التكفير وسفك الدماء، وجب الكلام عنها، وأحببت أن لا يخلو هذا الكتاب من ذكرها. فالتكفيريون في زماننا، يقررّون أنَّ كل دعاء عبادة، ولايجوز دعاء غير الله تعالى إلا دعاء المخلوق الحي الحاضر القادر، فبهذه الشروط الثلاثة يجوز في اعتقادهم دعاء المخلوق.!

الرد على هذه الشبهة: الدعاء الذي ورد في النصوص الشرعية ينقسم إلى نوعين: **النوع الأول**: **دعاء بغير قصد العبادة**: وهو من باب تعاطي الأسباب وهذا يجيزه الشرع الشريف، وعمل به حتى المخالفون أنفسهم فيقولون (يجوز دعاء المخلوق الحي الحاضر القادر) لأنه بقصد تعاطي الأسباب وليس بقصد عبادة المخلوق، كأن تقول: يا طبيب أغثني، أو ادركني، أو يا قائد الجيش أمدني بمدد من العساكر، أو يا علماء الأمة أمدوني بالدعاء، أو انقذني يافلان. وهكذا يقول أهل السنة في مسألة الاستغاثة بسيدنا رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ والصالحين فهي بقصد العمل، بالأسباب وليس بقصد عبادتهم، لأننا نعلم يقيناً أنه لا إله إلا الله تبارك وتعالى، ولانعبد إلا إياه عز وجل، ولذا

ثبتت النصوص الكثيرة التي تدل على جواز الاستغاثة والتوسل كما في الأحاديث التي ستكون في الصفحات التالية إن شاء الله تعالى، **فإن كان المسلم يبحث عن الأدلة الشرعية، ويخضع لكلام رسول الله ـ ﷺ ـ فدونه النصوص المقنعة لكل باحث عن الحق، فالأحاديث الواردة كلها في هذا النوع.**

النوع الثاني: دعاء بقصد العبادة: أي أن الداعي يقصد عبادة المخلوق بذلك الدعاء والعياذ بالله، فهو يتوجه إلي المخلوق بالدعاء بقصد عبادته. فهذا لايجوز أن يتوجه به العبد لغير الله ـ تعالى ـ لأنه شرك مخرج من الإسلام وهو الدعاء الذي جاءت الآيات الكثيرة بوصف المشركين به ونهاهم الله تعالى عنه كقوله تعالى ((ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه)) وغيرها من الآيات الكريمة. فلا تعارض بين النصوص الشرعية، بل الجمع بينها واجب، فنصوص النهي هي فيمن يقصد عبادة المخلوق أو يعتقد فيه أي شيء من معاني الربوبية، أما نصوص الجواز فهي فيمن لا يعتقد ذلك، وإنما فقط من باب العمل بالأسباب.

وهذا سرد لبعض النصوص الشرعية ،والآثار التي ذكرها علماء الحديث في كتب الحديث عن الاستغاثة والتوسل ،**وحثّوا على العمل بها** مع التوثيق بإذن الله تعالى.

سيدنا رسول الله _ عليه الصلاة والسلام _ يأمر بالتوسل والاستغاثة به:

الحديث الأول: جاء في المعجم الصغير للمحدث الكبير الإمام الطبراني رحمه الله تعالى فيما أسند عثمان بن حنيف ما نصه برقم:

٥٠٨ - حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المصري التميمي [١] حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف: أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان _رضي الله عنه_ في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته [٢]. فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة، فتوضأ، ثم ائت المسجد فصلي فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك **وأتوجه إليك بنبينا** محمد ﷺ نبي الرحمة، **يا محمد**؛ إني أتوجه بك إلى ربك ربي _جل وعز _ فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إلي حتى أروح معك. فانطلق الرجل **فصنع ما قال له عثمان،** ثم أتى باب عثمان، فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة، وقال حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه

---

١ هو شيخ الطبراني ،قال ابن ماكولا في كتابه الاكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف و المختلف فى الأسماء و الكنى و الأنساب(١ / ٢٩٦) :كان معلم كتاب بعسكر مصر وكان ثقة. أ_هـ **.وفاته :قال ابن ماكولا: توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين،وقال الذهبي وفيها أي سنة اثنتين وتسعين ومئتين توفي طاهر بن عيسى بن قيرس.** أ_هـ .

٢٢ توسعت الدولة الاسلامية في عهد سيدنا عثمان_ رضي الله عنه _ فكانت المصالح العامة للأمة أعظم من المصالح الخاصة ببعض الأفراد،فهذا الذي أشغله رضي الله عنه ،فهو مشتغل بالأهم عن المهم.

الساعة وقال ما كانت لك من حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا عليه ذهاب بصره، فقال له النبي ـ ﷺ ـ: ((أفتصبر))؟ فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق علي. فقال له النبي ـ ﷺ ـ ((إئت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات، قال عثمان: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط" لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي **وهو ثقة**، وهو الذي يحدث عن بن أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأبلي، وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد **وهو ثقة** تفرد به عثمان بن عمر بن فارس بن شعبة **والحديث صحيح**. وروى هذا الحديث عون بن عمارة عن روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه وهم فيه عون بن عمارة والصواب حديث شبيب بن سعيد. [١]انتهى كلام الحافظ الطبراني رحمه الله بحروفه.

حث حفّاظ الأمة الإسلامية على العمل بهذا الحديث:

فقد حث الحافظ الطبراني على العمل بهذا الحديث حيث أورده في كتابه الدعاء في باب: القول عند الدخول على السلطان. وحث على العمل به الحافظ ابن السني في كتابه عمل اليوم والليلة في باب ما يقول لمن ذهب بصره.

١ المعجم الصغير للطبراني تحقيق الدكتور نايف البركاتي ص٤٠٦

وحث عليه الإمام ابن خزيمة في صحيحه فقال باب صلاة الترغيب والترهيب ثم ذكره في أحاديث الباب. كما ذكره الإمام الترمذي في جامعه، وقال حديث حسن صحيح غريب. وذكره الإمام أحمد في المسند وغيرهم. وانظرالمستدرك مع تعليقات الذهبي ١/٧٠٧فالإمام الحاكم والحافظ الذهبي يصححان الحديث بل هو في غاية الصحة حيث أنه على شرط الإمام البخاري. وصححه الإمام البيهقي في دلائل النبوة وغيره من الحفاظ.

الفوائد: ١ــ استحباب العمل بهذا الدعاء.

٢ــ تصحيح الحفاظ لهذا الحديث من سلف الأمة ومن تبعهم رحمهم الله تعالى.

٣ــ عمل الصحابة بهذا الحديث، وترغيب الناس في العمل بهذا الحديث كما صنع الحفاظ حيث حثوا عليه في كتب الأذكار والدعاء كما فعل الإمام ابن خزيمة، والطبراني، وابن السني، والبيهقي، والحاكم، والمنذري وغيرهم من الحفاظ.

فهل علماء الأمة من المحدثين والفقهاء والمفسرين يحثون على الشرك؟! حاشاهم والله.

٤ــ فيه النص على عملين مشروعين وهما، الاستغاثة بالنبي ــ ﷺ ــ بدون قصدالعبادة بل من باب تعاطي الأسباب المشروعة، وكذلك التوسل به ــ ﷺ ــ إلى الله تعالى.

الحديث الثاني: وهذا حصل في زمن خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه في عصر الخلفاء الراشدين: قال الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة (حدثنا أبو

معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن مالك الدّار قال: وكان خازن عمرعلى الطعام قال: أصاب الناس قحط فى زمن عمر، فجاء رجل **إلى قبر النبى** ـ ﷺ ـ فقال: **يا رسول الله** استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأُتِيَ الرجل فى المنام فقيل له: إئت عمر فأقرئه السلام وأخبره إنكم مسقون وقل له: عليك الكَيْس فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال يارب لا آلو إلا ما عجزت عنه "[1]

ففي الخبر فوائد منها:

١ــ الاستغاثة بسيدنا النبي ــ ﷺ ــ بعد وفاته عند نزول البلاء.

٢ــ عملهم بالرؤيا الصالحة لأنها لا تخالف الشرع.

اما من جهة صحة الخبر فقد صححه الحفّاظ وعملت الأمة به على مر الدهور.قال الحافظ ابن حجر ما نصه (وروى ابن أبي شيبة **بإسناد صحيح** من رواية أبى صالح السمّان عن مالك الدار - وكان خازن عمر - قال: أصاب الناس قحط فى زمن عمر فجاءَ رجل إلى قبر النبى [فقال: يا رسول الله! استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى الرجل فى المنام فقيل له: أئت عمر... الحديث. وقد روى سيف فى «الفتوح» أن الذى رأى المنام المذكور هو بلال ابن الحارث المزنى أحد الصحابة). أ ــهـ[2] **وصححه ابن كثير في البداية والنهاية** في أحداث السنة الثامنة عشر للهجرة. [3]

---

١ (المصنّف) (٣٥٦/٦) حديث برقم(٣٢٠٠٢) ورواه الإمام البيهقى فى كتابه (دلائل النبوة) (٤٧/٧).

٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري - ٣٩٧/٢"

٣) ٩٨/٤

الدليل الثالث: وهذا الدليل ذكره عدد كبير من أئمة الحديث، وحثوا عليه، فمنهم: الإمام البخاري في كتابه الأدب المفرد. ومنهم الإمام الثقة إبراهيم الحربي تلميذ الإمام أحمد في كتابه غريب الحديث. ومنهم الحافظ ابن السني تلميذ الحافظ النسائي في كتابه عمل اليوم والليلة. ومنهم الحافظ ابن الجعد في كتابه المسند. والنووي في الأذكار، وابن تيمية في الكلم الطيب والإمام ابن الجزري في عدة الحصن الحصين، وغيرهم كثير.

وإليكم النقول: جاء في كتاب غريب الحديث للامام إبراهيم الحربي تلميذ الإمام أحمد بن حنبل في مادة خدر ما نصه:

٧٥٦ – حدثنا عفان، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عمن سمع ابن عمر، قال: « خدرت رجله »، فقيل: اذكر أحب الناس، قال: «**يا محمد**».

وقال أيضاً: ٧٥٧ – حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن سعد: جئت ابن عمر فخدرت رجله، فقلت: ما لرجلك؟ قال: « اجتمع عصبها »، قلت: ادع أحب الناس إليك، قال:

«**يا محمد** ». أ_هـ ففي هذين الأثرين تبرز الاستغاثة بسيدنا النبي _ ﷺ _ودعاؤه عند حدوث هذا العارض وحتماً أن المسلمين قديماً وحديثاً لا يفعلون ذلك بقصد عبادة سيدنا النبي _ ﷺ _ وإنما بقصد الاستغاثة السببية فقط، وإلا للزم المتنطعون اتهام الصحابة والتابعين بالوقوع في الشرك. **وجاء في الأدب المفرد للإمام البخاري:** باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله:

١٠٠١ – حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن سعد قال: خدرت رجل ابن عمر، فقال له رجل: اذكر أحب الناس

إليك، فقال: " **يا محمد**"[١]فتأمل في قول الحافظ البخاري ــرحمه الله تعالى ــ: باب ما يقول الرجل، فهو حث على فعل هذه الاستغاثة.

الدليل الرابع: قال الحافظ نور الدين الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: **باب ما يقول إذا انفلتت دابته أو أراد غوثاً أو أضَّل شيئًا:** عن عتبة بن غزوان عن نبي الله ــصلى الله عليه وسلم ــقال: "إذا أضل أحدكم شيئًا أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: **يا عباد الله أغيثوني**، فإن لله عباداً لا نراهم". وقد جُرِّب ذلك. قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة. [٢]وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: **أعينوا عباد الله**". قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات. [٣]أ_هـ وحسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار. [٤]

---

١ وكلمة :"يا محمد" ثابتة في مخطوط الأدب المفرد للبخاري كما أنها ثابتة في عدة نسخ مطبوعة للأدب المفرد منها طبعة مؤسسة الكتب الثقافيه-بيروت.سنة الطبع:١٩٨٦م-١٤٠٦ه والمكتبة العصرية ـ صيداالطبعه: الأولى سنة الطبع: ٢٠٠٦م-١٤٢٧تحقيق : خالد مصطفى طرطوسي ، ومكتبة المعارف سنة الطبع:١٩٩٨م-١٤١٩ه تحقيق:سمير أمين الزهيري.
وقال الحافظ شمس الدين السخاوي في كتابه _القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع _ "وللبخاري في الأدب المفرد من طريق عبد الرحمن بن سعد قال: خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك فقال: يا محمد" اهـ فأثبتها بياء النداء التي توجد في الكثير من النسخ المطبوعة كما أنها توجد في النسخ المخطوطة منها مخطوطة بمكتبة جامعة الملك سعود ـ قسم المخطوطات الرقم :٢١٤١ تاريخ النسخ : ١٢٨٤رغم المحاولات الكثيرة لتزوير ذلك في بعض الكتب المطبوعة من ضعفاء النفوس.

٢ مجمع الزوائد " (٩٣/١٠)

٣ مجمع الزوائد" (١٣٢/١٠)

٤ كما في شرح ابن علان على الاذكار (٥ / ١٥١) .

تطبيق أهل السنة للإستغاثة:

قد عمل السلف الصالح حقيقة بهذه النصوص وطبّقوها، وممن عمل بمقتضى هذا الحديث و احتج به الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. فعن عبد الله بن أحمد سمعت أبي يقول: حججت خمس حجج، اثنتين راكباً وثلاثة ماشياً، أو ثلاثة راكباً واثنتين ماشياً، فضللت الطريق في حجة و كنت ماشياً، فجعلت أقول: **يا عباد الله دلونا على الطريق**، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق". أ_هـ[1]

وعمل بهذه النصوص السلف في عهد الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، ثم في عهد التابعين، ومن جاء بعدهم، وإليكم بعض النقول سوى ما ذكر سابقا:

١_ **الإمام محمد بن المنكدر**: قال مصعب بن عبد الله حدثني إسماعيل بن يعقوب التيمي قال كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه فكان يصيبه صمات فكان يقوم كما هو حتى **يضع خده على قبر النبي** _ ﷺ _ثم يرجع، فعوتب في ذلك فقال: إنه يصيبني خطر، فإذا وجدت ذلك **استعنت بقبر النبي** ﷺ. ا_هـ[2]

٢_ **قصة العتبي المشهورة**: وهي موجودة في تفسير القرطبي وغيره عند قوله تعالى " وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ "**قال الحافظ ابن كثير في التفسير:**

---

١ البيهقي في الشعب ،وعبد الله بن الإمام أحمد في المسائل (٢١٧). اه وذكر هذه القصة أيضا ابن مفلح الحنبلي في كتاب (الآداب الشرعية) (١٨٦/١).

٢ في سير أعلام النبلاء (٣٥٩/٥)

يرشد الله تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم ـ فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفرلهم ولهذا قال: " لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً. **وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي، قال: كنت جالساً عند قبر النبي**ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه /فطاب من طيبهن القاع والأكم.

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه / فيه العفاف وفيه الجود والكرم.

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي ـ ﷺ ـفي النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبّشره أن الله قد غفر له. انتهى من تفسير ابن كثير لسورة النساء آية ٦٤، فلو كان شركاً لما فعله السلف ونقله المفسرون بلا إنكار.

٣ـ ومنها ما ذكره الذهبي في ترجمة ابن المقرىء ما نصه: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا والطبراني، وأبو الشيخ ـ ابن حيان ـبالمدينة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء **حضرت القبر وقلت: يا رسول الله الجوع**. فقال لي الطبراني: اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت. فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب علوي، ففتحنا له، فإذا معه

غلامان بقفتين فيهما شئ كثير، وقال: شكوتموني إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ رأيته في النوم، فأمرني بحمل شئ إليكم. اـهـ. [١]

فهذا هو هدي سيدنا رسول الله ـــ ﷺ ـالذي علَّمه للصحابة ونقلوه للتابعين وعملوا به، وعمل به من تبعهم من المهتدين. **وجاء في كتاب الإمام المحدث الخطيب البغدادي تاريخ بغداد قال:** حَدَّثَنِي أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْدِ اللَّهِ الصوري، قَالَ: سمعت أبا الحسين مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن جميع، يقول: سمعت أبا عَبْد الله ابْن المحاملي، يقول: **أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه.** وبالجانب الشرقي مقبرة الخيزران، فيها قبر مُحَمَّد بْن إسحاق بْن يسار صاحب السيرة، وقبر أَبِي حنيفة النعمان بْن ثابت الفقيه إمام أصحاب الرأي. أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْد الله الحسين بْن عَلِيّ بْن مُحَمَّد الصيمري، قَالَ: أَخبرنا عُمَر بْن إِبْرَاهِيمَ المقرئ، قَالَ: حَدَّثَنَا مكرم بْن أَحْمَد، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَر بْن إسحاق بْن إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن ميمون، قَالَ: **سمعت الشافعي، يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إِلَى قبره في كل يوم، يَعْنِي زائراً، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين، وجئت إِلَى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى.** ومقبرة عَبْد الله بْن مالك، دفن بها خلق كثير من الفقهاء، والمحدثين، والزهاد والصالحين، وتعرف بالمالكية. **انتهى كلام المحدث الخطيب البغدادي.**

---

١ في تذكرةالحفاظ ٩٧٣/٣وفي سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١٦

أدلة العلماء على أن الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم حياة برزخية كاملة:

معنى الموت: الموت ليسَ عدماً، وإنَّما هو انتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية التي تفصل ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة. فالموت هو تلك اللحظة التي تخرج فيها الروح من الجسم، ثم يتحول الإنسان إلى حياة أخرى هي الحياة البرزخية فيكون منعماً أو معذباً وذلك حسب عمله في الدنيا.

والتوسل بالأنبياء ـعليهم السلام ـوالأولياء ـرضي الله عنهم ـقائم على اعتقاد أنهم أحياء في قبورهم حياة برزخية هي أكثر كمالاً من الحياة الدنيا، وأنهم يسمعون من يطلب منهم الإعانة بالدعاء ونحوه، وهم مجرد أسباب فقط ولكن من الأسباب النافعة بإذن الله تعالى.

ولذا فلابد أن نبحث أولاً في تحقيق الأدلة الدالة على دعوى أنهم أحياء حياة برزخية، وأنهم يسمعون.

فنبدأ بذكر بعض الأدلة على ذلك:

الدليل الأول: قال الله تعالى: "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء **ولكن لا تشعرون** "**فعدم شعور أهل الحياة الدنيا بحياة أهل البرزخ لا يعني عدم وجودها**، كما قال تعالى "بل أحياء ولكن لاتشعرون" فعدم الشعور بهذه الحياة البرزخية هو حال أكثر الناس **ولكن عدم شعورهم بها لا يبيح لهم إنكارها أو إنكار خصائصها**، ولذا فالحياة الدنيا يعقبها الحياة البرزخية، ثم الحياة الآخروية.

وأما الأدلة أيضاً ما ورد من الأحاديث الشريفة فمنها:

الدليل الثاني: وهو حديث الإسراء والمعراج: فقد جاء فيه أن سيدنا رسول الله ـــصلى الله عليه وسلم ـــ صلى بالأنبياء عليهم السلام في المسجد الأقصى، وجاء فيه أنه التقى بهم في السموات عند المعراج إلى السماء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـــ ﷺ ـــ: "... وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى **قَائِمٌ يُصَلِّى** فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ **قَائِمٌ يُصَلِّي**، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَائِمٌ يُصَلِّى أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ – يَعْنِي: نَفْسَهُ –فَحَانَتِ الصَّلاَةُ **فَأَمَمْتُهُمْ** ". [١]

يعني صلى بهم إماماً لهم عليهم الصلاة والسلام، **وتأمل في الحديث، كيف يصف صورهم، ومن يشبههم من الناس في الصورة.**

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِي ـــ ﷺ ـــ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي فَالْتَفَتَ ثُمَّ الْتَفَتَ **فَإِذَا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ** ". [٢]

ثم لقاء سيدنا النبي ـــعليه الصلاة والسلام ـــ بالأنبياء في السموات، ويسلّمون عليه ويرحبون به ففي صحيح البخاري في باب المعراج ما نصه (.... فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل من هذا؟ قال جبريل،... فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلّم عليه، فسلّمت عليه، فرّد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح، ثم صعد حتى إذا أتى

---

١ رواه مسلم(١٧٢).
٢ رواه الإمام أحمد في المسند (٤ / ١٦٧)

السماء الثانية... فلما خلصت إذا يحيى وعيسى ـوهما ابنا الخالة ـ قال: هذا يحيى، وعيسى فسلِّم عليهما، فسلّمت، فردّا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة... فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلِّم عليه، فسلّمت عليه، فرّد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح،... ثم صعد بي حتى إذا أتى السماء السادسة... فإذا موسى قال: هذا موسى فسلِّم عليه، فسلّمت عليه، فرّد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح... ثم صعد بي إلى السماء السابعة... فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلِّم عليه، قال: فسلّمت عليه، فرّد السلام، قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح...) **رواه البخاري في الصحيح وغيره**. فتأمل ترى أن الحياة البرزخية ليست جامدة، بل هي حياة أرحب من الحياة الدنيا، وأعظم، وقد تخلّص فيها الانسان من العلائق، فهي حياة طليقة ليس فيها احتياجات الجسد من أكل، أو شرب، أو نكاح أو غيرذلك. وتأمل في هذه النصوص الصحيحة الصريحة ترى أنهم أحياء ويصلّون ويتكلمون وليسوا مقيدين، بل أرواحهم طليقة.

الدليل الثالث: ما جاء في مسند الإمام أحمد، والصحيحين، وسنن النسائي من رواية أنس ابن مالك رضي الله عنه وهو حديث القليب يوم بدر، والحديث رواه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم **ونص الحديث**: من حديث ابن عمر ـرضي الله تعالى عنهما ـقال: وقف النبي ـ ﷺ ـعلى قليب بدر فقال: "هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ ثم قال: أنهم الآن يسمعون ما أقول. وفي رواية في الصحيح (البخاري): "أن النبي ـ ﷺ ـجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله

ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ـ ﷺ ـوالذي نفس محمد بيده ماأنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون)).

فيعلم من الحديث أنهم يسمعون سماعاً أدق من سماع من حوله من الصحابة غير أنهم لا يجيبون، وهذا حديث صحيح صريح في أن الأموات يسمعون سماعاً يزيد على سماع الناس في الدنيا.

الدليل الرابع: سماع الأموات حتى لقرع النعال:

جاء في صحيح البخاري في كتاب الجنائز. باب: الميت يسمع خفق النعال. ما نصه:... عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: "العبد إذا وضع في قبره، وتولى وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم،... "الحديث. و أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم: ٢٨٧٠ورواه النسائي وأبو داود.

فتأمل في كونه يسمع خفق النعال رغم أننا لا نسمع ذلك غالباً ونحن في الدنيا ولكن الحياة البرزخية أقوى في خصائصها، فإذا سمع الميت قرع النعال، وخفق النعال؛ ألا يسمع كلام الزائرين ألا يعلم بحالهم ويستبشر بهم عندما يزورنه ويكلمونه؟!

الدليل الخامس: استئناس أهل البرزخ:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "إذا دفنتموني أقيموا حول قبري قدر ما يُنحر جزورويقسم لحمها حتى أستأنسَ بكم وأنظرَ ماذا أراجعُ به رسلَ ربي"رواه مسلم.

فهذا الصحابي الجليل يعلم أن الميت يستأنس بمن حوله من الناس ويشعر بهم.

الدليل السادس: الكلام مع أهل القبور وصيغة السلام عليهم:

في حديث أبي هريرة والسيدة عائشة وبريدة رضي الله عنهم "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسال الله لنا ولكم العافية"

يقول ابن القيم: فإن السلام على من لا يشعر، ولا يعلم بالمسلم محال، وقد علم النبي ـ ﷺ ـ أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: "سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية" **وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع، ويخاطب، ويعقل، ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد، وإذا صلى قريباً منهم شاهدوه، وعلموا صلاته،** وغبطوه على ذلك. انتهى كلام ابن القيم كما في كتابه الروح. فتأمل وتدبر.

الدليل السابع: النبي ـعليه الصلاة والسلام ـ يسمع من يصلي عليه عند قبره: قال الحافظ ابن حجر في (باب قول الله تعالى: واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) ما نصه: وأخرجه أبو الشيخ في " كتاب الثواب " **بسند جيد** بلفظ "من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائياً بُلّغته" جود

إسناده ابن حجر والسخاوي، فهذان الحافظان يجوّدان سند هذا الحديث [١].
والحديث رواه البيهقي في كتابه حياة الأنبياء وفي الشعب، وراجع كتاب: رسالتين في حياة الأنبياء للحافظين البيهقي والسيوطي بتحقيق الأشقر.

الدليل الثامن: عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ "والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلنّ عيسى بن مريم إماماً مقسطاً، وحكماً عدلاً، فليكسرنّ الصليب و يقتلنّ الخنزير وليصلحنّ ذات البين و ليذهبنّ الشحناء و ليعرضنّ المال فلا يقبله أحد، **ثم لئن قام على قبري فقال يا محمد، لأجبته**)) قال الحافظ الهيثمي: (هو في الصحيح باختصار رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح). [٢]والأدلة على هذا كثيرة ويكفي المسلم دليلاً واحداً.

الرد على شبهات من ينكر سماع الأموات!

قوله تعالى {وما أنت بمسمع من في القبور} وقوله تعالى "إنك لا تسمع الموتى... "بهذا استدلوا على أن الأموات لا يسمعون الأحياء مطلقاً، وقالوا إن كل هذه النصوص الواردة في سماع الأحياء للأموات هي خاصة لا عامة، فيقتصر فيها على خصوص السبب.!!

---

١ فتح الباري في كتاب أحاديث الأنبياء _عليهم السلام _عند شرح الحديث رقم ٣١٨٥ ووافقه الحافظ السخاوي فأكد أن سنده جيد كما في كتابه القول البديع ص٣١٣ تحقيق الشيخ محمد عوامة.
٢ في مجمع الزوائد (٢١١/٨)

الجواب: أجاب علماء أهل السنة بالتالي:

١ــ أنَّ المراد بالسمع المنفي في الآيات هو سمع القبول والهداية والدخول في الإسلام، لأن الإنسان لا ينفعه الإيمان والتوبة إذا بلغت الروح الحلقوم فكيف إذا مات؟! وليس السمع المنفي في الآيات هو السمع الحسي، ولذا تقول العرب أنصح فلاناً ولا يسمع لي، أي لايقبل مني. ويدل على هذا المعنى آيات كثيرة في القرآن الكريم فمنها قوله تعالى في وصف المنافقين"صم بكم عمي فهم لايرجعون"مع أنهم يسمعون ويتكلمون، ويرون فليس المراد هو الصمم، والبكم والعمى الحسي، بل المراد هو نوع آخر وهو عدم الانتفاع بالحق وقبوله ولذا وصفهم في آية أخرى فقال تعالى "وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم... " يقال مهما أكلمه فلن يسمع، أي لن يطيع.فإذن ليس في الآية ما يستدل به على أن أهل البرزخ لا يسمعون أهل الدنيا، لأن الآية مُنصبة على معنى آخر وهو قبول الدعوة إلى الإسلام، لأن حياة القبور حياة جزاء وليست حياة تكليف واهتداء. قال الإمام ابن كثير: وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} اــهـ

وقال ابن كثير: وقوله: {إن الله يسمع من يشاء} أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها {وما أنت بمسمع من في القبور} أي: كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم، ولا

تستطيع هدايتهم. انتهى كلام ابن كثير بحروفه. **فالمقصود هو سمع الاهتداء والقبول، وليس السمع الحسي.**

٢ـ أننا نعلم بالضرورة أنَّ الكفار الذين كان يدعوهم النبي ـ ﷺ ـ كانوا يسمعون سمعاً حسياً، ولم يكن بسمعهم أي عائق يمنعهم من سماع كلام النبي ـ ﷺ ـولذلك فليس وجه الشبه بين من في القبور وبين الكفار هو السمع الحسي، بل هو سمع الاستجابة والهداية فقط، فكما أن الموت يحول بين الكافر ودخول الإيمان فلا ينتفع بعد موته بسمع الدعوة إلى الإسلام، فكذلك التكبر عن قبول الحق لا ينفع معه السمع الحسي، لإعراضهم فلا يستجيبون ولا يهتدون إلى الإسلام. فالمقصود في الآيات هو سمع الهداية والاستجابة وليس السمع الحسي لأن السمع الحسي للكفار وللأموات ثابت بأدلة كثيرة.

٣ـ إذا علمنا أن الآيات التي استدلوا بها إنما هي في سمع الهداية لا السمع الحسي علمنا يقيناً لا شك فيه أنها لا تعارض الأدلة الكثيرة الدالة على سماع الأموات للأحياء والتي سقنا بعضاً منها. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الخاتمة:

معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن سيدنا محمداً رسول الله ــ ﷺ ــ:

معنى لا إله إلا الله: أي لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له، لأنه لا يوجد غني عن كل شيء وفقير إليه كل شيء؛ إلا الله عز وجل، فكل شيء محتاج إليه وهو غني عن كل شيء.

فهو الإله الحق وحده، ولا يوجد إله حقيقي سواه، وأما إدعاء الكفار أن هناك آلهة غير الله تعالى فهو من كذبهم وإفكهم وظلمهم. فكل من وصف غير الله عز وجل بالإلهية أو بشيء من خصائص الإلهية فقد ظلم وافترى كما قال الله تعالى "إن الشرك لظلم عظيم" (١). فليست بآلهة حقيقية كما يقول الكفار، وإنما هم الذين ادعوا هذه الدعوى واعتقدوا أنها آلهة.

جاء في سورة الفرقان – قوله تعالى" واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً" (٢) وجاء البيان في آيات أخرى بأنها ليست آلهة حقيقية وإنما هي ظنون كاذبة نسجها الأفّاكون فقال الله تعالى " وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان " (٣)

إن الشهادتين جامعتان لركائز التوحيد، لأن من آمن برسول الله ــصلى الله عليه وسلم ــ فقد آمن بكل ما جاء به، وآمن بكل صفة كمال لله تعالى،

---

(١) لقمان آية ١٣
(٢) الفرقان آية ٣
(٣) الأنعام آية ١١٦

وآمن بتنزيه الله تعالى عن كل نقص كما سبق بيانه وتفصيله، وآمن بالرسل، والأنبياء الكرام، والملائكة عليهم الصلاة والسلام، وما جاء من أخبار اليوم الآخر. فقد حوت كلمة التوحيد على جميع ركائز التوحيد.

فنسأل الله أن يرزقنا كثرة الذكر بها بقلوبنا وألسنتا وبجميع جوارحنا حتى تزول الأغيار المشغلة عن الواحد القهار. ونسأله أن يختم لنا بهذه الكلمة المباركة. ونستغفر الله من كل ذنب وتقصير وغفلة.

وجزى الله علماء أهل السنة السابقين واللاحقين إلى يوم الدين خير الجزاء، فإن المكتوب في هذه الورقات هو من كلامهم الموافق للقرآن والسنة الثابتة مما كتبوا وبيّنوا نصحاً للأمة.

ونسأل الله تعالى بصفاته العظمى وأسمائه الحسنى وبجاه حبيبه الأكرم ـ ﷺ ـ أن يجزى **سيدنا الشيخ أحمد فتح الله جامي** عنا، وعن الأمة خير الجزاء، وأن ينفعنا به وبعلومه في جميع العوالم، وأن يزيده من فضله العظيم، وأن يعلي مقامه بين خلّص الأولياء الصادقين.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين.

ذكر بعض مراجع الكتاب

القرآن الكريم.

تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرءان دار الفكر
(تفسير القرطبي) ط دار الكتب المصرية

تفسير ابن كثير) ، ط دار طيبة

البحر المحيط في التفسير) لأبي حيان ، ط دار الفكر

صحيح البخاري ط دار طوق النجاة

صحيح مسلم ط دار إحياء التراث العربي ببيروت

(سنن النسائي) ط مكتب المطبوعات الإسلامية

(مسند الإمام أحمد) ط مؤسسة الرسالة

(مستدرك الحاكم) ط دار الكتب العلمية

(صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان) ط مؤسسة الرسالة

صحيح ابن خزيمة مكتبة الأعظمي

المعجم الصغير للطبراني تحقيق الشريف البركاتي

الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان

المجروحين لابن حبان ط دار الوعي
(سير أعلام النبلاء) للذهبي ، ط الرسالة

فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة وط دار الكتب العلمية
المكتوبات للإمام الفاروقي السرهندي ، ط مكتبة الحقيقة بتركيا

إحياء علوم الدين ، ط دار المنهاج .

حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ، ط السعادة

الأدب المفرد مؤسسة الكتب الثقافية
عمل اليوم والليلة دار ابن حزم
اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، ط مؤسسة التاريخ العربي.
معيد النعم ومبيد النقم للتاج السبكي ، ط دار الكتاب العربي بمصر

تحفة المريد على جوهرة التوحيد للباجوري ، ط مكتبة دار البيروتي تحقيق عبدالسلام شنار

اعتقاد أئمة الحديث

الأسماء والصفات للبيهقي ط مكتبة السوادي

حاشية الباجوري على السنوسية ط دار احياء الكتب العربية

الاقتصاد في الاعتقاد ط دار المنهاج .

الإرشاد إلى قواطع الأدلة مكتبة الخانجي

شرح المقاصد ،ط دار الكتب العلمية

الفَرْق بين الفِرَق ط دار الآفاق الجديدة .
المِلَل والنِّحَل ط مؤسسة الحلبي
المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ط مكتبة القرآن للنشر مصر

اشتقاق أسماء الله للزجاجي ط الرسالة

فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي ، تعليق : محمود بيجو

الإقناع في مسائل الإجماع لأبي الحسن ابن القطان ، ط الفاروق الحديثة.

مراتب الاجماع دار ابن حزم

الأزمنة والأمكنة ، لأبي علي المرزوقي الأصفهاني ، ط دار الكتب العلمية.

البداية والنهاية لابن كثير ط دار المعرفة

القول البديع ،ط ،مؤسسة الريان

الفهرس